تأليف الدكتور:

عبد الراضي محمد عبد المحسن

جامعة القاهرة

الرسول الأعظم ﷺ في مرآة الغرب



The Greatest Prophet

In The View of The West

إشراف:

أ.د. عادل بن علي الشدي

الأمين العام للهيئة العالمية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته



Muslim World League
The Global Commission for Introducing The Messenger

رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

www.mercyprophet.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى رسل الله أجمعين، وبعد:

فيسر: (الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته) أن تقدم للقرّاء هذه الدراسة العلمية الجادة التي رصدت أقوال نخبة من مثقفي الغرب ومشاهيره حول رسول الله محمد ﷺ ،وصفاته ،وأخلاقه، ومنجزاته التي تشهد له بالتميز والعظمة المستمدة في عقيدتنا ،وإيماننا ،وقناعتنا من الله تبارك وتعالى الذي اصطفاه وأوحى إليه ،وكتب لدينه الانتشار والظهور على الدين كله.

ولئن شهدت المكتبة العربية تزايداً في أعداد الكتب التي اهتم أصحابها بإثبات شهادات المنصفين من غير المسلمين حول نبي الرحمة ﷺ، وهي جهود مقدّرة مشكورة لأصحابها ،لكن هذا الكتاب قد تميّز بالرجوع مباشرة إلى المصادر الأصيلة لتلك الأقوال في لغاتها الأصلية، والترجمة الدقيقة للمعنى، مع إثبات تلك الشهادات في صلب الكتاب بلغاتها الأصلية، والإحالة في الهامش على المصادر الأصيلة، تحقيقاً للمنهجية العلمية الصارمة التي تدرأ أي شك كان يراود بعض القراء عند اطلاعهم سابقاً على كتب تورد مثل هذه الشهادات دون إثبات المصدر الأصلي

الذي نقلت عنه المقولة ، أو بالإحالة إلى مصادر وسيطة كتبت باللغة العربية مع تصرف واضح في الترجمة قد يخلّ بالمعنى أحياناً ، ولا سيما في جانب المبالغة في وصف الرسول ﷺ وأخلاقه وعظمته وإنجازاته.

ولقد كنا في (الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته) على قناعة تامة بما يملكه الدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان المشارك بجامعة القاهرة من خبرة وإحاطة وتأهيل للقيام بهذه الدراسة العلمية التي تتطلب الجد والدأب والتدقيق الذي ساعده عليه اتقانه ثلاث لغات (العربية ، الإنجليزية ، الألمانية) مع تخصصه الدقيق في هذا المجال.

إلا أننا لا نخفي أن المنجز النهائي الذي نسعد اليوم بتقديمه للقرّاء قد تجاوز حدود ما توقعناه نظرا لما تحلى به من منهجيه علمية دقيقة ، وتوثيق تام ، وانفراد بمبحث غير مسبوق يتمثل في: (تصحيح بعض المفاهيم الغربية الخاطئة حول الرسول ﷺ) بأقلام نخبة من كبار مثقفي الغرب ومشاهيره أمثال: (جوته، توماس كارليل، وديورانت، ورودي بارت، وكارين أرمسترونج).

والمؤمل أن يجد هذا الكتاب مكانته اللائقة به في المكتبة العالمية ، ولاسيما عند ترجمته خلال السنتين القادمتين إلى اللغات: (الإنجليزية ، الفرنسية ، الأسبانية ، الألمانية).

وتبقى الإشارة إلى أمرين حول ما تضمنته هذه الشهادات من أقوال منصفة في حق نبيّنا ﷺ:

أولهما: أن ما نعلمه ونجزم به من منطلق إيماننا وعقيدتنا الإسلامية حول رسول الله ﷺ ومكانته وفضله واختيار الله تعالى له من بين سائر البشر ليكون خاتم الانبياء والمرسلين كافٍ في الدلالة على المراد ، لكن هذه الشهادات المنصفة تُساق بالدرجة الأولى لغير المسلمين ليتعرّفوا على موقف نخبة محترمة من الغربيين الذين لم يمنعهم عدم إسلامهم من الشهادة بالحق حول ما عرفوه من سيرة هذا النبي الكريم ﷺ.

ثانياً: أن هذه الشهادات قد تضمنت بعض المفاهيم المخالفة للعقيدة الإسلامية، وبعض المعلومات الخاطئة حول أحكام في الشريعة الإسلامية، وبعض الروايات الضعيفة في أحداث معينة من السيرة النبوية، وهذا أمر متوقع بالنظر للخلفية الدينية والثقافية المغايرة للإسلام وثقافته التي انطلق منها هؤلاء الكُتاب، ولم يكن المقصود من هذه الدراسة العلمية التعليق على هذه القضايا

لأنـه سـيخرج البحـث عـن مقصـوده الأسـاسـي وهـو إثبـات وجـود المنصـفين وقـوّة حجـتهم فيمـا ذهبـوا إليـه مـن عظمـة الرسـول ﷺ وتميز منجزاته وأخلاقه العالية وبعده عن ما يتهمه به أعداؤه من التهم الباطلة التي تنافي الخُلق الكريم.

وختاماً فإن هذا الكتاب يعدُّ إسهاماً في مسيرة الحوار بين اتباع الأديان والثقافات، وممارسة عملية للتواصل الحضاري بين الأمم والشعوب، على قاعدة التعارف لا التناكر والتعاون لا التنافر، وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد الأمين، وعلى سائر رسل الله أجمعين، واتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أ.د. عادل بن علي الشدي

الأمين العام

للهيئة العالمية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته

مقدمة

الحمد للّه الذي مَنَّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ الفتح: ٨ - ٩

أما بعد؛ فقد سبّب التدافع الحضاري بين الشرق والغرب بروز بعض المواقف الغربية الانفعالية من رسول الإسلام ﷺ، والتي تلت أحداثاً مفصلية في تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب هى على الترتيب:

أولا: حركة الصحوة الإسلامية التي عمت أرجاء العالم الإسلامي سعيا إلى التحديث والتنمية وإثبات الذات الحضارية في أعقاب التحرر من الاستعمار الغربي.

ثانيا: الثورة الإيرانية وما أعقبها من حركة احتجاز الرهائن الأمريكيين التي استغرقت ٤٤٤ يوماً.

ثالثا: تحلل واختفاء الاتحاد السوفيتي الغريم التقليدي القوي والمحفز على توحد الغرب خلف ثقافة" مواجهة الآخر"، مما يتطلب إيجاد بديل"آخر" يتمترس خلف الفكر والأيديولوجيا الغربية لضمان حقبة جديدة من الحيوية والتمدد.

رابعا: هجمات الحادي عشر من سبتمبر على مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاجون في واشنطن عام ٢٠٠١م.

فقد عادت تلك الأحداث بالفكر الغربي مجدداً إلى التقسيم القروسطي للعالم" نحن، هم"، الذي يحول عمليا دون إجراء مناقشة حقيقية وحوار مثمر وتبادل فعّال بين الحضارة المادية الغالبة، والحضارة الإسلامية الباحثة عن مكانتها اللائقة.

ذلك الأمر الذي جعل مثيري الدهماء في الغرب يعدون مجرد محاولة تأكيد الهوية الإسلامية- من جانب أي مسلم- ضرباً من التحدي الكوني يستوجب المواجهة بضرورات البقاء والوجود فكان ذلك باعثاً لأجهزة الإعلام الجماهيرية أن تمارس لونا من فوبيا معالجة رموز الإسلام وحضارته ومعتقداته معالجة متلّونة بالملّونات السياسية والاقتصادية والفكرية، وغير محكومة

بمتطلبات الموضوعية والإنصاف، ولا تستند إلى حقائق التاريخ والمعارف الصحيحة والمناهج العلمية الرصينة، بل هي معالجات مرهونة بأحكام السوق الاقتصادية وقانون العرض والطلب القائم على نسب الربح والخسارة المادية، فما يريده القارئ والسوق يوفّره الكتَّاب، والمؤلفون، والخطباء، بغض النظر عن مجانبته الصواب العلمي، أو الحقيقة التاريخية، أو السلامة العقلية، أو أصول الأخوة الإنسانية، أو التعاليم الإنجيلية: "سمعتم أنه للأولين: لا تقتل، فأن مَنْ يقتل يستوجب حكم القضاء. أما أَنا فأقول لكم: مَنْ غضب على أخيه استوجب حكم القضاء، من قال لأخيه يا أحمق فقد استوجب حكم المجلس ومن قال له يا جاهل استوجب نار جهنم" (إنجيل متى ٥/٢١- ٢٢).

وقد اتخذت تلك المعالجات الإعلامية شكل الموجات المتوالية، هبوطا وارتفاعاً نال منها النبي محمداً ﷺ القدر الأوفى من محاولات النيل والتشويه. لكن لأن سنة الله وحكمته قد اقتضت ألا يخلو عالم من الأخيار، أو بحر من كريم الأصداف والأحجار، أو ثقافة من فضيلة الاعتراف والإقرار بما للآخر من حقوق ومزايا وأفضال.

فإن سلسلة طويلة من أبناء الغرب تمثل أساطين النخب الأدبية والفكرية والعلمية، والتي امتدت عبر قرنين من الزمان تظل شاهدة العيان الغربي على عدم قدرة الأفكار المغلوطة والآراء الأنفعالية على تغييب العقول الحرة والضمائر العلمية الحية عن دورها في إنصاف كبار الشخصيات التي أسهمت بحظٍّ وافر في تاريخ البشرية والرسلات السماوية.

ولاشك أن هذا الشاهد الغربي المنصف هو أبلغ دليل وأنجح وسيلة في كشف خطأ حملات الإعلام المستهدِفة رسول الإسلام، وتفويت الفرصة على مثيرى الدهماء وسماسرة الحروب وصدام الحضارات في تزييف الوعي الغربي المعاصر وتكريس الصورة العدائية لدى جماهيره العريضة حول الإسلام ورسوله ﷺ.

فهذا الشاهد المنصف ينطق لغة الغرب وبمنطقه، وقد جاء من رحم فكره وثقافته وتدينه، فهو جزء من المنظومة الغربية ونسيجها، مما لا يقدر عاقل على رد شهادته، أو التشكيك في صدقها ومصداقيتها، فهى وليدة البحث الحر غير الموجّه، لأنها لم تكن تخاطب العرب أو المسلمين أو تخطب ودهم، فقد صدرت عن رعايا دول كانت تشكل امبراطوريات تستعمر ثلاثة أرباع العالم الإسلامي، فهى ليست سوى قناعات مقصود بها أبناء

الغرب، كما أنها نابعة من رصيد معرفي، وعلمي، وثقافي، وفكري ثري، من نتاج الحضارة الغربية الحديثة.

ويمثل هذا الشاهد الغربي المنصف من جهة أخرى التنوع المعرفي بأتمّ معانيه، مما يؤكد وحدة الحق وإن تنوعت مجالات البحث عنه والصدع به، فقد جاءت مواقف المنصفين لرسول الإسلام من جانب قمم غربية شغلت حيزاً مرموقاً في خارطة الحضارة الحديثة بمجالاتها المتعددة: الفلسفة، الأدب، الفكر، العلوم التجريبية، الإعلام، اللاهوت، تاريخ الأديان، الاستشراق.

وليست هذه القمم صفحة من الماضي الغربي العريق، بل هي ممتدة حتى يومنا هذا، فإذا كان جوته، وفولتير، وكارليل، ولوبون، وزيجريد هونكه من الموتى، فإن مونتجمري وات، وهانز كينج، وكارين أرمسترونج، وكارل إرنست، ممن يملأون السمع والبصر.

وربما تكون القيمة العلمية والمعرفية التي يمثلها أصحاب تلك المواقف المنصفة هي السبب في تأخر بداية ظهورها إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وذلك لاستناد الحق والحقيقة دائما إلى المعرفة الصحيحة والمنهجية العلمية اللتين لم يكن بالإمكان توفرهما دون ترجمة معاني القرآن الكريم وكتب السنة والسيرة

إلى اللغات الأوربية، تلك الترجمات التي مكّنت أحرار الفكر من التخلص من الأساطير والأوهام المعرفية حول نبي الإسلام، تلك التي نشأت عن الجهالة المعرفية إلى حد بعيد.

ولا تقتصر أهمية المواقف الغربية المنصفة لرسول الإسلام ﷺ على ما لها من قيمة علمية ومعرفية، بل تتجاوز ذلك إلى شموليتها، فقد جاء نتاج المنصفين من أبناء الغرب ثلاثي الأبعاد في محاور ثلاثة تشملها مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: الرسول الأعظم بين الإسلام والغرب، ويتناول إقرار المنصفين الغربيين له بالعظمة مع بيان جوانب تلك العظمة، ومعاييرها، وأسباب استحقاقه ﷺ لها.

المبحث الثاني: شمائل الرسول الأعظم، ويرصد المناقب والشمائل التي أثبتها المنصفون الغربيون لرسول الله ﷺ.

المبحث الثالث: تصحيح المفاهيم المغلوطة المثارة حول نبي الإسلام في الغرب، وهو يتتبع جهود المنصفين في نقد المخطئين الذين رسموا صورة شائهة لرسول الإسلام ذات مفردات بغيضة ومغلوطة.

وهـذا المبحـث ممـا تتفـرد بـه هـذه الدراسـة، إذ لم يلتفـت مـن صنفوا في هذا المجال من قبل إلا إلى رصد الشهادات الإيجابية في حق رسول الله ﷺ، على الرغم من أهمية تصحيح الصورة المغلوطة والمفاهيم الخاطئة المثارة حوله ﷺ بوصفها المدخل الرئيس والعملي والفعال لأي جهود تصالح أو تقارب حضاري بين الشرق والغرب إعمالاً لمبدأ التخلية قبل التحلية، أي إزاحة المعوّقات والشوائب والمنغّصات قبل تقديم المشهّيات والمرغّبات.

ولأن للحق جانبين؛ جانباً منهجياً، وجانباً معرفياً يتوقف على سلامة الأول ودقته، فقد حرصنا على أن يكون تناولنا لهذه المحاور والمباحث بالمنهجية الملائمة التي تناسب طبيعة بحث المنصفين عن الحق، فاعتمدنا المنهج التاريخي التكاملي الذي يجمع شذرات الحق والإنصاف التي تناثرت عبر السنين؛ ليشكل منها الرؤية المنصفة التي تكشف عن وحدة الحق وإن باعدت المجالات والأمكنة والأزمنة بين شذراته.

والتماساً لأصول المنهجية العلمية، وإرساءً لضوابط الموضوعية والإنصاف، ووفاءً بشرائط التحقيق والتدقيق المعرفي، ودرءاً لشبهات التعسف في التأويل والقراءة، أو الانسياق وراء إغراء الادعاء بغير حق.

فقد ألزمنا أنفسنا إيراد شهادات المنصف الغربي لنبي الإسلام ﷺ، أو إثبات مناقبه المحمدية، أو تصويبه فهماً خاطئاً أو شائعاً حول الرسول الأعظم ﷺ، بنصوصها الواردة بها في لغاتها الأوربية، وذلك كي تسلم الحجة، ويستقيم الاستدلال، ويتم البرهان، فيسهل الاقناع والاقتناع.

ولم يكن ذلك الالتزام المنهجي بالأمر الهيّن، فقد استلزم جهداً موفوراً وبحثاً موصولا، واستغرق قرابة العامين من السباحة في بحار المصادر والمراجع الغربية، فحصاً ودرساً للنصوص في لغاتها الأصلية الرئيسة: الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية.

واللّهَ أسأل أن يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، نصرةَ لدينه، ومحبة لرسوله العظيم ﷺ، وبياناً للحق والحقيقة المعرفية التي هى غاية أحرار الفكر، ومطلب عقلاء البشر في الشرق والغرب على حد سواء.

كما لا يفوتني بالغ الشكر وأجزله لسعادة الدكتور عادل الشدي أمين عام المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى اللّه عليه؛ وسلم لما أسداه من رعاية ودعم لهذا البحث مذ كان فكرة حتى استوى وليداً، فجزاه اللّه بذلك خير الجزاء وجعله في موازين حسناته.

اللهم علمنا ما جهلنا، وانفعنا بما قد نكون علمنا من شمائل الرسول الأعظم، واجعلنا من أهل شفاعته، فلك الحمد والمنة في البدء والختام.

عبدالراضي محمد عبدالمحسن

الرياض ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

تنويه

ورد في ثنايا بعض الشهادات الغربية المنصفة للنبي ﷺ عدد من الأقوال والعبارات والإشارات والأحكام التي يرجعون فيها إلى مرجعيات ومقاييس تتلاءم مع معطيات الفكر الغربي التي نختلف معها، ونرفضها ؛ انطلاقاً من كون النبي ﷺ رسولاً موحى إليه من الله وحيا سماوياً ولم يكن شخصاً قد أسس ديناً من خلال عبقرية بشرية أو تكامل إنساني، كما يحب الغربيون أن يصنفوا الأنبياء وأصحاب الرسالات جميعاً.

ولن نتوقف لنقد كل موضع من هذه المواضع؛ كي لا نقطع تسلسل الفكر في الكتاب، وكذلك لأن هذا النقد ليس من مقاصد الكتاب وأهدافه.

وإنما وجب التنويه لأن مثل هذه المواضع التي تصدم الحس الإسلامي وتخالف ثوابت الإسلام وأصوله، لم تكن بدافع التشويه أو سوء الغرض، لكنها كانت نتيجة الثقافة السائدة في الدوائر العلمية والفكرية في الغرب، تلك التي تعتمد علي بعض الروايات غير الصحيحة، كما هو الشأن في مسألة زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش، أو في عدد زوجات النبي ﷺ، أو في

المكانة الخاصة التي تبوّأتها السيدة خديجة والسيدة عائشة رضى اللّه عنهما.

وكذلك ما ورد من كلام الألماني مينشنج بأن أصالة النبي ﷺ الدينية تبدو أقل في بعض التعاليم التي اقتبسها من الديانات الأخر، وذلك راجع إلى أسطورة تأثر النبي ﷺ وأخذه من اليهودية والنصرانية على وجه الخصوص.

إلى جانب بعض المسائل الاعتقادية التي يرفضها الإسلام مثل قضية صلب المسيح عليه السلام، وكذلك مسألة عصمة الأنبياء التي يدور عليها أصل النبوة في الإسلام مع حقوق الأنبياء في الاستجابة لهم وتوقيرهم ليس في السمع والطاعة فقط، بل في أدب الخطاب عنهم والتحاور بشأنهم.

المؤلف

المبحث الأول

الرسول الأعظم بين الإسلام والغرب

"Ce fut certainement un tres-grand home... Conquerant.Legislateur, monarque et pontife, il joua le plus grand role qu'on puisse jouer sur la terre aux yeux du commun des homes"

" لقد كان بالتأكيد رجلا عظيماً جدا... مشرّع فاتح، حكيم، إمام. لقد قام بأعظم دور يمكن أن يقوم به إنسان على ظهر الأرض."

فولتير

العظمة هي القدر العالي الذي يُقدَّر به الشيء، أو المكانة التقديرية الكبيرة والمرتبة الرفيعة التي يوضع فيها أعلام البشر جزاء ما قدموا لأممهم وشعوبهم خاصة، أو للإنسانية عامة. وبذلك تكون العظمة مكانة استثنائية معبرة عن التفاوت في القدر بين مَنْ يتبوأها وبين بقية إخوانه من بنى البشر. وهذا

التفاوت والتفاضل في الدرجات بين بني البشر حقيقة أصيلة قررها الإسلام من خلال مصدريه:

الكتاب العزيز والسنة المطهرة في أكثر من مقام وبأكثر من طريقة ليس هذا موضع بسطها.

وقد كانت مسيرة النبي محمد ﷺ، وأحوال أمته قبل بعثته، ووقائع حياته ﷺ المتصلة بالبلاغ والتبليغ هى المرآة التي عكست قدر النبي ﷺ، واستحقاقه منقبة العظمة في الإسلام.

ولم يكن المرشد الإلهى الأول إلى تلك المنقبة سوى القرآن الكريم والسنة المطهر إذ بيّن القرآن منذ البداية ثقل المهمة المنوط بها النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (سورة المزمل: الآية٥)، تلك المهمة التي يزيد من حدة ثقلها اتساع مجال إبلاغها الذي يشمل العالمين ويستهدف رحمة البشرية برمتها. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية١٠٧). فما أشقها مهمة أن يُكلَّف شخص النبي ﷺ بتغيير مسار العالم الديني بما أُوحى إليه. قال تعالى: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ

أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سورة إبراهيم: الآية١).

لذلك فقد تطلبت هذه المهمة الفريدة في تاريخ البشرية الديني وتاريخ الرسالات السماوية طبيعة فريدة لشخص القائم بها، ومكانة متفردة تناسب دوره ومهمته، وهو ما قرره القرآن الكريم لشخص الرسول ﷺ، فعلى الرغم من كونها شخصية بشرية خالصة، فإنها أُعدَّت برحمة الله، فلانت للبشر فاجتمعوا حولها قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(سورة آل عمران:الآية١٥٩).

وكان هذا اللين إلى جانب سمات خلقية أُخر اجتمعت في شخص النبي ﷺ قد كفلت له ﷺ شهادة إلهية وتزكية ربانية بأنه الرسول الأعظم خلقياً. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سوره القلم، الآية:٤).

وبهذه الشخصية النبوية المتفردة استحق الرسول الأعظم مكانة استثنائية بين الأنبياء والرسل وبين بني البشر، وذلك في الدنيا والآخرة: فهو ﷺ أفضل الخلائق كما عنون الإمام مسلم في صحيحه لحديث النبي ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفّع)[١]، وهو خاتم الرسل وأفضلهم، كما أخبر ﷺ" فُضّلتُ على الأنبياء بست: أُعطيتُ جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأُحلَّت لى الغنائم، وجُعلِتْ لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة، وخُتِم بي النبيون"[٢]. ولم يكن لمثل هذه الشخصية الفريدة العظيمة إلا أن تكون مثالاً يُحتذى وقدوة تُقتدى وأسوة تُتَّبع، كما أشار القرآن

---

[١] صحيح مسلم (كتاب الفضائل/باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق)

[٢] صحيح مسلم (كتاب المساجد/باب جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً) وقد أورد الإمام البخاري خمساً فقط من جوانب أفضليته ﷺ على الأنبياء والرسل من حديث جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال:" أُعطيت خمساً لم يُعطهنّ أحد قبلى، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أُمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة" صحيح البخارى (كتاب التيمم/باب قول الله تعالى:" فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً")

الكريم، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب: الآية ٢١).

وهو ما لا يمكن تحققه إلا برفعة ذِكْره ﷺ، ذلك الأمر المقرون بأيام الدهر كلها وليس حال حياته ﷺ، فمهمة التاريخ هى الإشادة بمآثر ذي المآثر بعد وفاته وليس السير بذكرها حال حياته فحسب ولذلك كان تاريخاً.

وقد تكفل الله تعالى برفعه ذكر النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (سورة الشرح: الآية ٤)، فانطلقت الألسنة تلهج بعظمة شخصية النبي ﷺ في كل محفل وزمان ومكان، وسوَّدت صفحات التاريخ بجلال قدره، وعظمة شخصيته، وعظيم جهاده، وكريم، أعماله وجزيل خدماته للإنسانية بأسرها.

ولم يكن الغرب وحضارته وفكره بدعاً في ذلك، فقد أنطق الله الذي انطق كل شيء ألسنة وأقلام المنصفين من أبنائه بمحامد الرسول الكريم وفضائله، فلم يُمَار أولئك المنصفون في مكانة الرسول الأعظم، لكنهم اختلفوا حول مرتبة تلك العظمة، وجوانبها، ودواعي استحقاق الرسول الأعظم لها، وذلك على النحو الأتى:

المطلب الأول: مرتبة عظمته ﷺ

تباينت مرتبة العظمة التي وضع فيها المنصفون الغربيون النبي محمداً ﷺ، ويرجع ذلك إلى تباين معايير العظمة التي وضعها كل منهم، والجوانب التي نظروا للعظمة من خلالها، وإلى أي درجة تحققت تلك المعايير، فكلما اتسع محيط تلك المعايير وازداد عمقها لتلامس جوانب التنمية البشرية والارتقاء بالإنسان دينياً وأخلاقياً وحضارياً، وكذلك الإصلاح الاجتماعي والبيئي المؤثر في عمارة الكون وبناء الحضارات، كانت المرتبة التي يوضع فيها رسول الإسلام أرفع وأعظم وأكثر تفرداً، وكلما كانت المعايير أقل شمولاً لهذه الجوانب شاركه غيره في مرتبة العظمة التي وضعه فيها المنصفون. ولذلك جاءت مرتبته ﷺ في العظمة على النحوالتالي:

١. نبي عظيم:

كان توماس كارليل Thomas Carlyle [1] في محاضرته التي ألقاها في لندن عام ١٨٤٠م أول من صنف محمداً ﷺ في مرتبة النبي العظيم، وذلك على الرغم من تطرقه إلى معيار التأثير العالمي الواسع الذي أحدثه النبي ﷺ، لكن يبدو أن الذي جعله يقتصر على الاكتفاء بوضع النبي ﷺ في مرتبة النبي العظيم - فحسب - هو المعركة التي كان يخوضها كارليل في مواجهة التراث والتقاليد الغربية التي كانت مستقرة على تصنيفه نبياً كاذباً، فلذلك استحوذت قضية إثبات صدقه ﷺ وإخلاصه في دعوته على عناية كارليل؛ لينتهي منها إلى أنه ﷺ نبي صادق عظيم القدر مثل غيره من الأنبياء الذين عرفتهم البشرية.

---

[1] الكاتب الإنجليزى المعروف الذي ولد عام ١٧٩٥م وتوفي عام ١٨٨١م، من أشهر مؤلفاته كتاب"الأبطال" الذي يتضمن أعظم الشخصيات تأثيراً في العالم من خلال المجالات المتعددة التي أصبحوا أبطالها بلا منازع. وفيه أفرد مقاله عن البطل النبي بوصفه يتجسد في شخص محمد ﷺ.

يقول كارليل Carlylr مشبّهاً النبي ﷺ في عظمته وعظمة دوره بالشهاب النازل من السماء:[١]

" To the Arab Nation it was as a birth from darkness into light, Arabia first became alive by means of it. A poor shepherd people, roaming unnoticed in its deserts since the creation of the world: a Hero-Prophet was sent down to them with a word they could believe: See, the unnoticed becomes world-notable, the small has grown world-great; within one century afterwards, Arabia is at Grenada on this hand, at Delhi on that;-glancing in valour and splendour and the light of genius, Arabia shines through long ages over a great section of the world. Belief is great, life-giving. The history of a nation becomes fruitful, soul-elevating, great, so soon as it believes. These Arabs, the man Mahomet, and that one

---

(١) Thomas Carlyle, On Heroes ،Hero-Worship,& the Heroic in History.p.66 University of California Press. Loss Angeles- Oxford 1993

century-is it not as if a spark had fallen, one spark, on a world of what seemed black unnoticeable sand; but lo, the sand proves explosive Powder, blazes heaven-high from Delhi to Grenada! I said, the Great Man was always as lightning out of Heaven; the rest of men waited for him like fuel, and then they too would flame.

" لقد أخرج الله العرب به من الظلمات إلى النور وأحيا به من العرب أمة هامدة، وهل كانت إلا فئة من جوّالة الأعراب خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة؟.

فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله، فإذا الخمول قد استحال شهرة، والغموض نباهة، والضعة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقاً وسع نوره الأرجاء، وعمّ ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب يد في الهند ويد في غرناطة، وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة

بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة.

وكذلك الإيمان عظيم وهو مبعث الحياة ومنبع القوة وما زال للأمة رقي في درج الفضل وتعريج إلى ذرى المجد ما دام مذهبها اليقين ومنهاجها الإيمان. ألستم ترون في حالة أولئك الأعراب، ومحمدهم، وعصرهم، كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التي كان لا يبصر بها فضل، ولا يرجى فيها خير، فإذا هي بارود سريع الانفجار، وما هي برمل ميت، وإذا هي قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرناطة ودلهي.

ولطالما قلت إن الرجل العظيم كالشهاب من السماء وسائر الناس في انتظاره كالحطب، فما هو إلا أن يسقط حتى يتأَجَّجوا أو يلتهبوا".

ويقول كارليل منتهياً إلى انطباق معاييره للعظمة على محمد ﷺ، خاصة معيار امتلاك الإخلاص والصدق والحكمة الذي هو من لوازم الرجل العظيم ولا يكون الرجل عظيماً إلا به:[١]

"I wish you to take this as my primary definition of a Great Man. A little man may

(1) Thomas Carlyle, On Heroes, p.40

have this؛ it is competent to all men that God has made: but a Great Man cannot be without it... God has made many revelations: but this man too, has not God made him, the latest and newest of all? The inspiration of the Almighty giveth him, understanding; we must listen before all to him. This Mahomet, then we will in no wise consider as an Inanity and theatricality, a poor conscious ambitious schemer, we cannot conceive him too. The rude message he delivered was a real one withal; an earnest confusion voice from the unknown Deep. The man's words were not false, nor his workings here below: no Inanity and Simulacrum.

أود أن تعرفوا أن هذا هو تعريف الرجل العظيم وحدُّه الجوهري، صحيح أنها قد توجد في الرجل قليل القدر لكونها جديرة بالوجود في نفس كل إنسان خلقه الله، ولكنها من لوازم الرجل العظيم، ولا يكون الرجل عظيماً إلا بها..... وقد دل الله على وجوده بعدة آيات أرى أن أحدثها وأجدّها هو الرجل العظيم

الذي علّمه الله العلم والحكمة، فوجب علينا أن نصغي إليه قبل كل شيء.

وعلى ذلك فلسنا نعد محمداً هذا قط رجلا كاذباً متصنعاً يتذرع بالحيل والوسائل إلى أغراض شخصية من الحقائر والصغائر، وما الرسالة التي أدّاها إلا حق صراح، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول.

كلا ما محمد بالكاذب ولا الملفّق".

ولا ينبغي أن تفوتنا أهمية تقرير كارليل في عبارته السابقة أن الرجل العظيم محمداً ﷺ هو أحد آيات الله التي دلّل بها الله تعالى على وجوده، فمثل هذا التقرير الصارم الذي يربط بين شخص النبي العظيم الصادق المخلص محمد ﷺ وبين آيات الله الصادقة في الكون، هو الذي جعل من محاضرة كارليل عن النبي البطل محمد ﷺ نقطة مفصلية فارقة بين مرحلتين من مراحل الفكر الغربي حول نبي الإسلام؛ مرحلة الأسطورة والخرافة التي سيطرت عليها الروح العدائية، مرحلة العلم والحقيقة التي افتتحت منظوراً

إيجابياً جديداً تجاه نبي الإسلام، كما قال مونتجمري وات Montgomery Watt[1]:

"Since Carlyle lecture on Muhammad in Heroes and Hero-worship, the West has been aware that there was a good case to be made out for believers in Muhammad's sincerity.[1]

" منذ ألقى كارليل محاضرته عن محمد ضمن سلسلة محاضراته عن الأبطال وعبادة البطولة، أصبح الغرب على وعي بوجو أساس طيب للاعتقاد في إخلاص محمد ﷺ.

وبالتالى انفتح الباب أمام الدراسات المتخصصة حول نبي الإسلام والتي تنتهي إلى النتيجة نفسها التي انتهى إليها كارليل،

---

(١) مونتجمري وات هو المستشرق والمؤرخ الإنجليزي الإنجيليكاني عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره، وهو حاصل على الدكتوراه في علم الكلام الإسلامي، وله عدد من المؤلفات عن الإسلام أشهرها: محمد في مكة، محمد في المدينة، محمد النبي ورجل الدولة، الوحى الإسلامي في العالم المعاصر.

(١) Montgomery Watt, Muhammad AT MECCA, P.52. Oxford AT 1953

وإن اختلف هدف المعالجة وأسلوبها، مثل الدراسة التي قام بها العلامة الألماني رودي بارت[٢] Rudi Paret مقرراً[٣]":

"Mohammeds Groesse und Einmaligkeit zeigt sich ebean darin, dass er sich immer der menschlichen Gemeinschaft, der er angehoerte, verbunden fuehlte und auf sie einzuwirken bestrebt war. Nachdem er sich selber erst einmal zur Erkenntnis der goettlichen wahrheit durch gerungen hatte. Glaubte er sich verpflichtet, auch siene makkanischen lands leute und darueberhinaus alle Araber auf den weg des Heils zufuehren.

" إن عظمة محمد وتفرده تتجلى في كونه من ذلك الصنف من البشر الذي يميل إلى خدمة الناس ومساعدتهم، ويريد التأثير

---

(٢) رودي بارت هو أستاذ اللغات السامية والدراسات الإسلامية بجامعة تيبنجن، ولد عام ١٩٠١م، وتوفي عام ١٩٨٣م، وله عدد من المؤلفات في مجال السيرة النبوية وعلوم القرآن، ولكن أهم أعماله على الإطلاق هو ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى الألمانية.

(٣) Rudi Paret, Mohammed und der koran, S; 139, Kohlhammer verlag. Stuttgart.1957.

عليهم، فبعد أن امتلك الحقيقة الإلهية، أحسَّ أن الواجب عليه دعوة أبناء مدينته مكة وكل العرب إلى السير في طريق النجاة".

بل اتسع نطاق هذا الوعي الغربي الجديد بعظمة محمد ﷺ ليمتد إلى الصحافة والإعلام، إذ نشرت مجلة التايم المعروفة عدداً خاصاً عنوان غلافه الخارجي": Who were History's Great Leaders? "من هم قادة التاريخ العظماء؟ وفيه مقالة للمؤرخ الأمريكي بجامعة شيكاغو (وليام مكنيل William Mcneill) يقول فيها[1]:

"If you measure leadership by impact, then you would Have to Name Jesus, Buddha, Mohammed, Confucius, The Great Prophets of the world."

لو أنك قست الزعامة بمدى تأثيرها فإنك يجب أن تذكر المسيح وبوذا ومحمد وكونفشيوس على أنهم أنبياء العالم العظماء.

---

(1) TIME, July 15, 1974.

٢. أحد عظماء التاريخ:

انتقل فكر الغربيين المنصفين للنبي ﷺ من مجرد الإقرار بأنه نبي عظيم إلى مرتبة كونه أحد العظماء القلائل ذوي التأثير على مجريات التاريخ الإنساني، وقد تطلب انتقال النبي ﷺ إلى هذه المرتبة نشأة مجال الدراسات المقارنة لقدر تأثيره ﷺ، مع أقدار تأثير غيره من الشخصيات التاريخية.

وقد كانت أكثر هذه المقارنات مع الأنبياء الذين تصدروا لإبلاغ الرسالات السماوية المكلفين بها، وبالتالي يعزى الفضل في انتقال النبي ﷺ إلى هذه المرتبة لنتائج بحوث ودراسات مقارنة الأديان التي نشطت لدي الغرب متزامنة مع عصر الأنوار الأوربي الذي كان أميل وأكثر نزوعاً إلى الإنسانية وقبول الآخر فكرياً.

ويشــير المستشــرق الأمريكــي كــارل إيرنســت[١] Carl w.Ernst في شهادته لمحمد ﷺ بأنه أحد عظماء التاريخ، إلى دور علم الأديان في الوصول إلى هذه النتيجة قائلاً[٢]:

"We would not have it in its present form without the prophet Muhammad, and therefore I start without him. Nevertheless, the importance of Muhammad is not limited to those sources that can be dated with certainty to his own lifetime. He has served as an ongoing model for ethics, law, family life, politics and spirituality in ways that were not anticipated 1400 years ago. There are few people in history who have had a greater impact on humanity and it is through the historical elaboration of tradition that we must seed to understand that impact.

---

(١) هو كارل إيرنست المستشرق الأمريكي المعاصر تلميذ المستشرقة الألمانية الكبيرة آن ماري شمل، وهو يعمل أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة شمال كارولاينا الواقعة في تشابل هل في الولايات المتحدة الأمريكية، وله عدد من الدراسات الإسلامية.

(2) Carl Ernst, Following Muhammad, p.74, the University of North Carolina Press. Chapel Hill & London 2003

" لم يكن بإمكاننا الحصول عليه في صورته الحالية بدون النبى محمد ﷺ ، وهذا سبب بدئي به ومع ذلك لم تكن أهمية محمد ﷺ مقصورة فقط على تلك المصادر التي ظهرت أثناء حياته إذ إنه خدم بوصفه نموذجاً مستمراً في الأخلاق، والنظام، والحياة العائلية، والسياسة، والروحانية بأساليب لم يسبق لها مثيل منذ ١٤٠٠ عام. أشخاص قلّة كان لهم تأثير أعظم على البشرية؛ ولكي نفهم ذلك التأثير يجب علينا اللجوء للفحص التاريخي للتراث الديني."

وربما يكون من أهم الملامح المرتبطة بتصنيف النبي ﷺ في مرتبة أحد عظماء التاريخ إسهام الألماني هانز كينج[١] Hans Kueng بوصفة أول عالم لاهوتي كاثوليكى في العالم يقوم- على حد عبارة كارل إرنست Carl Ernst – بمحاولة جدية لتفهم محمد ﷺ[٢]:

"Ecumenical German theologian Hans Kueng was probably the first catholic to make

(١) هو عالم اللاهوت الألماني المعاصر ذائع الصيت هانز كينج السويسرى المولد، الأستاذ بجامعة تيبنجن بألمانيا، صاحب المؤلفات الغزيرة التى تتجاوز مائة بحث ومقالة، وهو صاحب مشروعات فكرية ولاهوتية عديدة لعل أشهرها" الأخلاق العالمية".

(2) Carl Ernst, Following Muhammad, p.13-14.

a serious attempt to come to terms with Muhammad."

فشهادة هانز كينج المنصفة للنبي محمد ﷺ تأتي متعددة جوانب القيمة والتأثير، فهانز كينج من كبار رجال اللاهوت الليبرالي الحر ذي الشعبية الجارفة في ألمانيا والنمسا وسويسرا، مما لا يخفي معه القيمة الدينية لرأيه، هو كذلك رأي معتبر يحمل كل خصائص المعرفة الصحيحة والبحث المنهجي الرصين؛ لأن هانز كينج ليس مجرد لاهوتي فحسب، بل أكاديمي صارم، وباحث عقلاني حرّ، ذو قدم راسخ في مجال الأديان وتاريخها وبحوثها والحوارات المثمرة بينها، مما أوجد لآرائه وكتاباته تأثيراً كبيراً أمكنه من مجابهة الكنيسة ومطالبتها الإقرار بعظمة النبي محمد ﷺ قائلاً[1]:

"Blicket man auf des"Gesandten Gottes" lebenswerk zurueck, so ist das Urteil der Muslime begreiflich: Dieser Muhammad hat wie sehr wenige Menschen vor und nach ihm Gewaltiges, ja Epochales geleistet und

---

(1) Hans Kueng , Der Islam, S: 159. piper, Muenchen-zuerich 2006

erreicht, das auch christliche Theologie und kirchen heute endlich vorbehaltlos anerkennen sollten... . Muhammad der grosse religioese Reformator, der Gesetzgeber und politische fuhrer, der Prophet schlechthin"

" عندما يعود المرء إلى الوراء ناظراً عمل رسول الله يجد حكم المسلمين بأن محمداً قد استطاع ما لم يستطع إلا النادر من البشر أن يذلله وينجزه ويصل إليه، وهذا الحكم هو ما يجب اليوم على الكنيسة وعلى اللاهوت المسيحي الإقرار به أخيراً دون تحفظ.... محمد، المصلح الديني الكبير، المشرِّع، والزعيم السياسي، النبي بجدارة مطلقة".

وليس هانز كينج هو الاستثناء أو الصوت الوحيد في الإسهام اللاهوتي الذي يؤكد صدق العاطفة والشعور الديني لدى المنصفين في تصنيفهم النبيّ محمداً ﷺ كأحد عظماء التاريخ، فذلك الإسهام اللاهوتي يقطع بخطأ من يحصر بواعث مواقف المنصفين من نبي الإسلام في النزعة العقلانية لدى طوائف العلمانيين من باحثي الغرب وأدبائهم ومفكريهم.

فاللاهوتيون كانت دوافعهم وراء البحث عن حقيقة محمد ﷺ الدينية لاشك دوافع لاهوتية رامية إما إلى إثبات تفوق اللاهوت المسيحي، أو البحث في مظاهر عدم أصالة النظم الدينية الأخرى.

ومن الأصوات ذات الخلفية والتاريخ اللاهوتي الكاتبة البريطانية كارين أرمسترونج Karen Armstrong [١]، والتي جعلت من العون الإلهي تفسيراً أوحد للنجاح الفذ الذي حققه النبي ﷺ، قائلة[٢]:

"Divine aid seemed the only possible explanation for Muhammad's extraordinary Success."

" العون الإلهي فيما يبدو هو التفسير الوحيد المحتمل للنجاح الفذ الذي حققه محمد" .

---

(١) كارين أرمسترونج باحثة بريطانية معاصرة في تاريخ الأديان لها عدد من المؤلفات عن النبي ﷺ مثل كتاب محمد نبي زماننا، ولها مؤلفات عن الإسلام والديانات الأخرعامة، وكانت أرمسترونج راهبة لم تغادر الدير إلا مؤخراً.

(2) Karen Armstrong, Muhammad A Biography of the Prophet, p.234. Victor Gollanc 7. London 1996.

ولا يقتصر تأثير الفكر اللاهوتي لدى أرمستورنج على ذلك فهى تجعل كذلك من الطابع الإلهي الخالص للقرآن الكريم أحد وجوه عظمة وتفرد الرسالة المحمدية، بقولها[٣]:

"The only thing that made Muhammad's revelation different was that for the first time God had sent a messenger to the Quraysh and a scripture in their own language"

" الشيء الفريد الذي ميّز وحي محمد أن الله قد أرسل للمرة الأولى رسولا إلى قريش، وأنزل كتاباً مقدساً بلغتهم"

كما تجعل الإسلام والقرآن الكريم أهم وجوه عظمة النبي التي تضعه في مصاف أحد عظماء التاريخ. تقول[1]:

"If we could view Muhammad as we do any other important historical figure, we would surely consider him to be one of the greatest geniuses the world has known. To create a literary masterpiece, to found a major religion

---

(3) Karen Armstrong, Muhammad. P.87
(1) Karen Armstrong, Muhammad. P.52

and a new world power are not ordinary achievements."

" إذا استطعنا النظر إلى محمد كما ننظر إلى الشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى، فمن المؤكد أننا سنعده أحد أعظم العباقرة الذين عرفهم العالم، فأن يأتي برائعة أدبية، ويؤسس ديانة عظمى، وقوة عالمية جديدة، فتلك إنجازات غير عادية."

ومن بين المعاصرين غير اللاهوتيين الذين وضعوا النبي محمداً ﷺ في مرتبة أحد عظماء التاريخ المستشرق الإنجليزي مونتجمري وات Montgomery Watt صاحب أغزر مؤلفات حول نبي الإسلام خاصة في ثلاثيته الشهيرة: محمد في مكة، محمد في المدينة، محمد النبي ورجل الدولة. وهو إن لم يكن من اللاهوتيين مثل هانز كينج وكارين أرمسترونج، إلا أنه أرجع نجاح النبي في تبوّء هذه المرتبة كذلك إلى دور العوامل اللاهوتية بجانب العوامل الشخصية. يقول وات تحت عنوان أصل العظمة The foundation of Creation [١]:

[1] Montgomery Watt, Muhammad AT Medina, p.335. Oxford At the Clarendon Press. 1966.

"The more one reflects on the history of Muhammad and of early Islam, the more one is amazed at the vastness of his achievement. Circumstances presented him with an opportunity such as few men have had, but the man was fully matched with the hour. Had it not been for his gifts as seer, statesman, and administrator and، behind these, his trust in God and firm belief that God had sent him, a notable chapter in the history of mankind would have remained unwritten. It is my hope that this study of his life may contribute to a fresh appraisal and appreciation of one of the greatest of the"sons of Adam".

" كلما استرجعنا تاريخ محمد وتاريخ الإسلام المبكر تملكنا الذهول أمام عظمة هذا الإنجاز، ولاشك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصاً للنجاح لم تتحها سوى للقليل من الرجال، غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تماماً.

فلو لم يكن مستبصراً ورجل دولة وإدارة ولو لم يضع ثقته في الله، ويقتنع بشكل يقيني أن الله أرسله، لما كتب فصل مهم في

تاريخ الإنسانية. ولى أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام من جديد، برجل هو من أعظم رجال أبناء آدم".

فهو يجعل من يقين النبي محمد ﷺ بنبوته، وبثقته في الله، وبدوره في تلقي الوحي، عوامل جوهرية لولاها ما تحققت له العظمة، ولولاها ما كان هذا التأثير الكبير في تاريخ الإنسانية".

ويبدو أن كارين أرمسترونج اللاهوتية قد تأثرت في إرجاعها عوامل عظمة محمد ﷺ إلى أمور دينية عقدية باعتمادها على مونتجمري وات بوصفه قيمة كبرى في الاستشراق المعاصر، وهى كثيرة الاقتباس من مؤلفاته والإشارة إليها.

لكن يبدو أن جوانب التأثير قد تخطت مجرد الإشارة والاقتباس إلى المتابعة في أصول الأفكار والروح العامة. ولا يجب أن يتبادر إلى الذهن أن تصنيف النبي ﷺ في مرتبة أحد عظماء التاريخ أمر طارئ محدث قاصر على شهادات المنصفين المعاصرين، كما بدا في شهادة كارل إرنست، وهانز كينج، وكارين أرمسترونج، ومونتجمرى وات، بل إن ذلك التصنيف يضرب بجذور عميقة في تاريخ علماء الأديان ومؤرخي الحضارات،

مثل جوستاف لوبون[١] Gustave Le Bon الفرنسي في دراسته لتاريخ الحضارة الإسلامية التي أسماها: حضارة العرب La Civilisation des Arabes ونشرت عام ١٨٨٤م، وخصص فيها الفصل الأول من الباب الثاني لدراسة سيرة النبي محمد ﷺ؛ ليطرح بعد الانتهاء من فحص سيرة النبي ﷺ وأقواله وأفعاله تساؤلاً حول عظمة محمد ﷺ: أكان الوصول إلى تلك العظمة أمراً مستهدفاً من جانبه أم لا؟ يقول لوبون[١]:

"Lorsque Mahomet mourut, il avait obtenu ce resultat immense de reunir en une seule nation, obeisant a une seule croyance, et capable par suite d'obeir a un seul maitre, tous les peoples de l'Arabie. II serait inutile de rechercher si le resultat attaint fut bien celui que se proposait le prophete. Nous connaissons

---

[١] جوستاف لوبون مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٤١م، وله سلسلة من الكتب في تاريخ الحضارات مثل كتاب حضارة الهند، ولكن أشهر كتبه" حضارة العرب" الذي يعد من أمهات الكتب التي صدرت في العصر الحديث في أوربا لإنصاف الحضارة العربية والإسلامية. وقد توفي عام ١٩٢١م.

[1] Gustave Le Bon, La civilization des Arabes, p.92. Librairie de Firmin-Didat Et C.Paris, 1884

si peu les varies causes de la succession des evenements que nous devons nous contenter d'admettre, commele font habituellement les historiens, que les resultants ontenus par l'influence des grands homes sont reellement ceux qu'ils cherchaient a obtenir. On demontrerait facilement que la valeur de cette regle est contestable, mais ce serait sortir de mon cadre que de le faire ici."

" من العبث البحث في مسألة النتائج التي حققها محمد؛ أكانت مما استهدفه قبلا !؟ وإذا لم نكن من المختصين في مسألة حتمية عمل الأسباب في المسببات، فإننا مضطرون إلى مجاراة المؤرخين فيما ذهبوا إليه من أن ما بلغه أعاظم الرجال، ومنهم محمد، من النتائج إنما هو مما كانوا يسعون إلى تحقيقه، ورأي مثل هذا، وإن كان لا يسلّم به على علاّته، فإن الخوض في نقضه يخرجنا من موضوع هذا الكتاب."

وبعد أن يُبْدي لوبون Le Bon عدم قناعته بأن محمداً ﷺ كان يقصد من أعماله وإنجازاته تحصيل مرتبة العظمة وإدراكها، وأن تلك مسألة يحتاج نقضها بحثاً مستقلا لا يناسبه

المقام، فإنه يقرر أن محمداً واحد من أعظم من عرفهم التاريخ على الرغم من إغفال المتعصبين والحاقدين الشهادة له بذلك. يقول لوبون LeBon[1]:

" S'il faut juger de la valeur des homes par la grandeur des oeuvres qu'ils ont fondees, nous pouvons dire que Mahomet fut un des plus grands homes qu'ait connus l'histoire. Des prejuges religieux ont empeche bien des historiens de reconnaitre l'importance de son oeuvre; mais les ecrivains chretiens eux-memes commencent qujourd'hui a lui render justice. Voici comment s'exprime a son egard un des plus distingues d'entreux."

" إذا قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد شرع بعض علماء الغرب ينصفون محمداً مع أن التعصب الديني قد أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله"

---

(1) Gustave Le Bon, La civilization des Arabes, p.93

أما الفرنسي إميل درمنغم[١] Emile Dermenghem فعلى الرغم من كونه ليس لاهوتياً، فإنه يرجع عظمة النبي ﷺ إلى أمور لاهوتية، ربما بسبب كونه أكثر المستشرقين قرباً من النصوص العربية والتراث الإسلامي خلال الفترة التي أمضاها في الجزائر. يقول درمنغم في كتابه The Life of Mahomet حياة محمد[٢]:

"The very faults of the prophet prove that his unique and real grandeur come from God, from his supernatural inspiration. Without God he felt himself alone and weak."

" تدل هفوات النبي على أن عظمته الحقيقية والفذة قد أتته من الله ومن خلال الوحي إليه، فلولا الله لشعر أنه وحيد ضعيف."

ومع أن هذا النص يسمح لنا بإدراج درمنغم فيمن يصنف النبي ﷺ في مرتبة أرفع من مرتبة العظمة التي نعرض لها الآن، فإننا

---

[١] اميل درمنغم مستشرق فرنسي شغل منصب مدير مكتبة الجزائر، وله عدة مؤلفات منها، حياة محمد، ومحمد والسنة الإسلامية، أروع النصوص العربية، سيرة الأولياء المسلمين، ذكريات الأمير عبدالقادر.

[2] Emile Dermenghem, The Life of Mahomet, p.250. George Routledge & sons.ltd. London 1930

أدرجناه هنا لوجود نص آخر عن عظمة النبي ﷺ يعد أكثر بياناً لنوع المرتبة التي يريد إدراج النبي ﷺ فيها. يقول درمنغم(١):

"His generosity in the days of his final triumph exhibited a greatness of soul rare indeed in the pages of history."

" مروءته وشهامته أثناء انتصاره النهائي (فتح مكة) تُظهر من عظمة النفس ما لا يوجد مثيله في التاريخ إلا نادراً.

فهذا النص أميل إلى وضع النبي ﷺ في مرتبة أحد العظماء القلائل الذين عرفهم التاريخ.

---

(1) Emile Dermenghem, The Life of Mahomet, p.174

٣. أعظم عظماء التاريخ:

لا شك أن تصنيف النبي محمد ﷺ في مرتبة الأعظم بين بني البشر أمر مدهش من جهتين:

الجهة الأولي: المكان

فمحمد ﷺ هو الأعظم في الإسلام باصطفاء اللّه تعالى له وبإرساله رحمة للعالمين؛ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وقد استطاع أن يقف أمام العالم أجمع داعياً إلى عبادة اللّه وحده لا شريك ونبذ كل عبادة سوى عبادته، وواجه في ذلك منفرداً صناديد قريش وكفرها وجهالاتها، وواجه عباد الأصنام والكواكب وغيرهم، وعاش حياته كلها في خدمة البشرية جمعاء، وجاء برسالة لو لم تكن دينا لكانت أسمى الأخلاق وأرقى التعاليم، وهذا أمر مسلّم به في الشرق المسلم.

لكن مثار الدهشة أن يأتي ذلك التصنيف من جهة الغرب المثقل بكاهل الفكر القروسطي وأسير الثقافة غير الودية تجاه نبي الإسلام.

الجهة الثانية: الزمان

قد يتبادر إلى الذهن أن بداية ذلك التصنيف ترجع إلى محاضرة توماس كارليل Thomas Carlyle عام ١٨٤٠م عن البطل النبي محمد ﷺ، عندما جعل البحث في معايير عظمة محمد التي جعلته جديراً باختياره نموذجاً للبطولة في شكل النبي، عندما جعل ذلك يتمحور حول الوضع الذي وجد محمد ﷺ فيه نفسه من أجل أداء رسالته، وهو[١]:

"One man alone of the whole world"

"رجل واحد في مقابل جميع العالم"

فلما استطاع ذلك الرجل بتأييد الله له، وبصدق عزيمته، وبإخلاصه في دعوته أن يقف ضد الجميع وينتصر للحق، فإن ذلك هو الرجل الأنسب لاختياره أعظم العظماء، وإذا أضفنا إلى ذلك أن كارليل بمحاضرته عن البطل النبي كان هو النقطة المفصلية الفارقة بين مرحلة الفكر الأسطوري القروسطي وبين مرحلة الفكر التاريخي العقلاني حول نبي الإسلام. نظراً لما امتازت به

---

[1] Thomas Carlyle, On Heroes, p.53

المحاضرة من وضوح ومباشرة واستقلال وقوة في البرهنة والاستدلال.

لأجل ذلك كله فإنه من المدهش أن تكون بداية التصنيف أسبق من كارليل، والأكثر دهشة أن يكون أول مَنْ وضع النبي ﷺ في تلك المرتبة هو الفرنسي فولتير، ذلك لأن فولتير[1] هو صاحب واحدة من أكثر الأطروحات والكتابات القروسطية العدائية ضد النبي محمد ﷺ، وهى مسرحيته الشهيرة: Le fanatisme ou Mahomet le prophete التعصب أو النبي محمد، التي عرضت في مدينة ليل Lille بفرنسا عام ١٧٤١م، وعندما عرضت في باريس تسببت في فضيحة توقفت بعدها عن العرض بعد ثلاثة أيام؛ نظراً لأن النقاد والمراقبين قد اكتشفوا أن شخصية النبي ﷺ قد اتُخذت في المسرحية ستاراً لنقد الكنيسة الكاثوليكية ورجالها.

---

[1] فولتير (١٦٩٤ـ١٧٧٨م) الكاتب الفرنسي الذي ارتبط اسمه في أوربا بالثورة ضد الجمود والتعصب والخرافة، وأصبح محلا للنقد من الكتاب والمفكرين ورجال الدين والسلطات الرسمية، له مؤلفات عديدة في الفلسفة والتاريخ والمسرح والشعر وربما يكون أحد أسباب قيام الثورة الفرنسية بوصفه أحد أعلام حركة التنوير.

ويزيد الأمر دهشة أن تلك المسرحية المشئومة قد تُرجمت للغة الألمانية وعرضت على مسرح فايمار Weimar عام ١٧٩٩م، وكان القائم على تلك الترجمة أعظم شعراء ألمانيا على مدار تاريخها وواحد من أعظم شعراء أوربا الشاعر Geothe جيته[١]؛ نزولا على طلب راعيه الأمير كارل أوجست إحياء ليوم ميلاد والدته الدوقة لويزا، مما جعل جيته عرضة لتأنيب صديق عمره هردر G.Herder وزوجته كارولين هردر Caroline Herder اللذين ثارا عندما شاهدا العرض ثورة عنيفة على خيانة جيته لصدقه مع نفسه عندما قدم النبي محمداً بهذه الطريقة المنافية للحقيقة التاريخية.

ومثار الدهشة هنا أن مؤلف المسرحية (فولتير) ومترجمها للألمانية (جيته) كليهما قد صحّحا خطأيهما، وقاما بدراسة سيرة النبي ﷺ دراسة علمية تاريخية قادتهما إلى أن يكونا رائدي حركة التنوير الغربي التي أعادت للنبي ﷺ اعتباره في الغرب في مواجهة فكر الجهالة القروسطي.

---

[١] جيته الأديب الالماني الشهير، ولد في فرانكفورت عام ١٧٤٩م، وتوفي ١٨٣٢م، وقد تأثر بالفكر الإسلامي، وكانت آراؤه أكثر من إيجابية في الإسلام ونبيه وكتابه وحضارته،ذلك الذي ظهر جليا في أشهر مؤلفاته" الديوان الشرقى للشاعر الغربي"

ففي مقالته الموسومة بـ: Essai sue l'histoire generale et les moeurs et l;espirt des nations محاولة في التاريخ العام لأخلاق الأمم وروحها، المنشورة عام ١٧٥٦م امتدح فولتير النبي محمداً ﷺ من خلال دراسة مقارنة مع سيرة أصحاب الشرائع ومؤسسي الديانات، معتبراً النبي ﷺ أحد المشّرعين الثلاثة العظام في تاريخ العالم. ويتدرج فولتير في مديحه، ليفضّل النبي محمداً ﷺ على المسيح عيسى في بعض جوانب الرسالة والصفات الشخصية، قائلاً[١]:

"De moins Mahomet a ecrit et combattu; et Jesus n'a su ecrire, ni se defender. Mahomet avait le courage d'Alexandre avee l'avec l'esprit de Numa; et votre Jesus a sue sang et eau des qu'il a ete condamne par ses juges. Le Mahometisme n'a jamais change, et vous autres vous avez change vingt fois toute votre religion"

---

(1) Voltaire, Euvres completes de Voltaire(Kehl) 1785-1789. vol.36 p.378

" إن أقل ما يقال عن محمد إنه قد جاء بكتاب وجاهد، أما عيسى فلم يترك شيئاً مكتوبا، ولم يدافع عن نفسه، لقد امتلك محمد شجاعة الإسكندر وحكمة نوما، أما عيسى فقد نزف دماً بمجرد أن أدانه قضاته، ومحمد لم يغيّر رسالته، لكنكم ورجال دينكم غيرتم دينكم عشرين مرة"

ثم يصل بمديحه إلى الذورة، إلى أقصى مدى يمكن أن يصل إليه غربي، فيقرر لأول مرة في تاريخ الغرب أن محمداً ﷺ أعظم رجالات الإنسانية. يقول فولتير[١]:

"Ce fut certainement un tres-grand home... Conquerant. Legislateur, monarque et pontife, il joua le plus grand role qu'on puisse jouer sur la terre aux yeux du commun des homes"

" لقد كان بالتأكيد رجلا عظيماً جدا... مشرّع فاتح، حكيم، إمام. لقد قام بأعظم دور يمكن أن يقوم به إنسان على ظهر الأرض."

---

(1) Voltaire, (Euvres completes) vol.16. p.385

كما كان الشاعر الكبير (جيته) هو من نقل مسرحية فولتير المسيئة للنبي ﷺ من الفرنسية للألمانية، فإنه كان كذلك من نقل تصنيف النبي ﷺ في مرتبة أعظم رجال الإنسانية من فرنسا إلى بقية بلدان أوربا من خلال أشعاره وكتاباته التي فاضت بالمديح والثناء العاطر على الإسلام وكتابه ورسوله خاصة في مؤلفه العظيم" الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"-West oestlicher Diwan الذي سنتوقف عنده طويلا في ***المبحث*** **الثاني والثالث إن شاء الله.**

وسنكتفي هنا بالإشارة إلى مقولته الشهيرة التي جعل فيها محمداً سيد العالم، قائلا[1]:

"Und so muss das Rachet scheinen was auch Mohamet gelungen; Nur durch den Begriff des Einmen Hat er alle welt bezwungen"

"وهكذا يجب أن يسطع الحق الذي بَلَغه محمد كذلك، فبالتوحيد وحده ساد العالم"

وإذا كان جيته الألماني قد تبنى تصنيف محمد ﷺ في مرتبة الأعظم في تاريخ الإنسانية، بوصفه مشروعاً فكرياً، واختياراً

(1) Geothe, west Oestlicher Diwan

أيديولوجياً، وقناعة ذاتية تعددت مظاهر وأشكال وأدوات التعبير عنه في هيئة: أشعار، خطابات، مكاتبات، تصريحات وتقريرات قصيرة وموجزة ومعبرة.

فإن قامة فكرية وأدبية كبرى أخرى مثل الشاعر الفرنسي الكبير ألفونسو لامارتين Alphonse de Lamartine في كتابه تاريخ الأتراك: Geschichte der Turkie عام ١٨٥٤م، قد نفى بعزم وبحزم احتمال وجود شخص آخر في العالم يجرؤ على مقارنة محمد في مرتبة عظمته بأى مخلوق في تاريخ الإنسانية؛ لأنه الأعظم على مدار التاريخ بلا منازع، يقول لامارتين Lamartine[1]:

" Nie hat ein mensch in kurzerer zeit eine so gewaltige und dauerhafte Revolution in der Welt hervorgebracht [...] Wenn die groBe des Vorhabens, die Durftigleit der Mittel und das AusmaB des Erreichten der dreifache MaBstab sind, woran menschliches Genie gemerren wird, wer wurde es da wagen, in menschlicher

---

(1) Alphonse de Lamartine, Geschichte der Turkei.1854 p. 277

Hinsicht eine groBe personlichkeit der modernen Geschichte mit Mohanmed zu vergleichen? [...] Philosoph, Redner, Apostel, Gesetzgeber, Kreiger, Uberwinder von Ideen, Wiederaufrichter, rationaler Dogmen einer Religion ohne Bilder, Grunder von zwanzig weltlichen imperien und eines geistlichen, voila, das ist Mohammed! An welchem MaBstab auch immer man menschliche GroBe misst; Welcher Mann war groBer al ser?"(Alphonse de lamartine in seiner Geschichte der Turkei, erschienen 1854; Lamartine 1854, S.277 u. 280)

" لم يحدث في العالم أن قام إنسان في مثل هذا الوقت القصير بهذا التغيير الهائل والمستمر.. فإن كانت عظمة الغاية وقلة الوسائل، والنتائج المذهلة، هي المقاييس الثلاثة لعبقرية الإنسان، فمن الذي يجرؤ على مقارنة أي رجل عظيم في التاريخ الحديث بمحمد؟.... حكيم، وخطيب، ورسول، ومشرع، ومحارب، وهادم للأفكار الخاطئة، ومحيي المعتقدات العقلانية، ومحيي العبادة

بلا أصنام ولا صور، ومؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية.

ذلكم هو محمد، وبالنظر إلى كل المقاييس التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يحق لنا أن نسأل: هل يوجد أي إنسان أعظم منه!؟"

ومن فرنسا وألمانيا انتقل تصنيف النبي محمد ﷺ في مرتبة أعظم البشر إلى بريطانيا خلال عصر الأنوار. فظهر عام ١٨٧٥م في لندن كتاب في تاريخ الفكر الأوربي بعنوان A History of the Intellectual Development of Europe تاريخ تطور الفكر الأوربي لمؤلفه الدكتور جون وليم درابر طبيب ودكتور في الحقوق John William Draper وفيه يؤرخ لمولد النبي ﷺ قائلا[1]:

"Four years after the death of Justinian A.D.569, was born At Mekkah, in Arabia the Man who, of all Men Exercised the Greatest influence upon the Human Race... Mohammed."

---

(1) John William Draper.M.D.UD, A History of the Intellectual Development of Europe. London 1875

"بعد أربع سنوات من وفاة يوستينياس عام ٥٦٩ بعد الميلاد، ولد في مكة في جزيرة العرب الرجل الذي كان له من بين جميع الرجال أعظم تأثير على الجنس البشري، محمد".

ثم يقطع الأديب الكبير بوزورث سميث[١] Bosworth Smith في كتابه Mohammed and Mohammedanism محمد والمحمدية، بتفرد النبي ﷺ في تاريخ البشرية، قائلاً[٢]:

"By a fortune absolutely unique in History, Mohammed is a threefold founder of a nation, of an Empire and of A Religion"

" من حسن الحظ إنه لأمر فريد على الإطلاق في التاريخ، أن محمداً مؤسس ثلاثة أشياء: الأمة والإمبراطورية والدين".

---

[١] بوزورث سميث، أديب إنجليزى كبير، ولد في عام ١٨٣٩م، وله بحوث مهمة في التربية والتاريخ وقد توفي عام ١٩٠٨م

[2] Bosworth Smith, Mohammed and Mohammedanism, London 1946

ويبدو أن بريطانيا قد أبت هي الأخرى إلا أن تمثلها قامة عملاقة في تصنيف محمد ﷺ في مرتبة أعظم العظماء، شأنها في ذلك شأن فرنسا وألمانيا.

فكان جورج برنارد شو[٣] George Bernard Show أديب بريطانيا الكبير ذو المؤلفات العديدة حول الإسلام، صاحب دعوة جديدة إلى تطوير لقب أعظم العظماء إلى لقب جديد يعبر عن قيمة الدور الذي قام به النبي محمد ﷺ لأجل خير البشرية وهو لقب (منقذ البشرية). يقول برنارد شو[٢]:

"I have studied him-The wonderful man-and in my opinion far from being an Antichrist, he must be called the saviour of Humanity"

" لقد درست الرجل الفذ، وفي رأيي أنه يجب أن يُدْعى منقذ البشرية، فهو بعيد كل البعد من أن يدعى ضد المسيح"

---

(٣) جورج برنارد شو، أديب ومفكر إنجليزي، ولد في أيرلندا ١٨٥٦م وتوفي ١٩٥٠م، من مؤلفاته"محمد عند علماء الغرب"،"الإسلام في ضوء التشيع"،"عظمة الإسلام".

(2) George Bernard Show, The Genuine Islam. Vol.1. No.8.1936.

ولا يمكـن مغـادرة المملكـة المتحـدة دون الإشـارة إلى تصـنيف المستشـرق الإنجليـزي روم لانـدو[١] Rom Landau يقـول روم لاندو[٢]:

" When Muhammad died in 632, the success of Islam completely vindicated the faith of Khadijah in the revelation that her husband had received, and the new monotheistic creed was on the road to spiritual and physical conquest unparalleled in human history"

" عندما توفي محمد عام ٦٣٢م كان في نجاح الإسلام التام ما زكّى إيمان خديجة بالوحي الذي تلقاه زوجها ، وكانت العقيدة التوحيدية الجديدة في سبيلها إلى القيام بفتح روحي ومادّي لا يضارعه أي فتح في التاريخ البشري."

ومـن المملكـة المتحـدة إلى الولايـات المتحـدة بلـد العجائـب والغرائب وزعيمة العالم المعاصر انتقل تصنيف النبي ﷺ في مرتبة

---

[١] روم لاندو، مستشرق إنجليزي وأخصائي في تاريخ العرب والحضارة الإسلامية وكان أستاذ الدراسات الإسلامية والشمال الافريقي في جامعة المحيط.

[2] Rom Landau , Islam and the Arabs, p.25. George allen & unwin ltd. London1958

أعظم عظماء الإنسانية نقلة نوعية تماثل النقلة التي أحدثها كتاب توماس كارليل عن البطولة والأبطال.

وذلك لأن التصنيف الأمريكي قد حمل سمات حلّقت به عاليا وجعلته يماثل تأثير تصنيف كارليل، وتتمثل السمات في:

١- التاريخانية أي الإطار التاريخي المقارن الذي جاء فيه التصنيف من خلال التتبع التاريخي للحضارات ومشيديها والأفكار والمخترعات والمنجزات وصانعيها، والأديان والمذاهب ومؤسسيها، والعلوم والمعارف ومبدعيها.

٢- الاستقلال حيث جاء هذا التصنيف في إطار التصدي لمهمة استقصاء أعظم رجال الإنسانية.

٣- الأكثر انتشاراً لأن أوعية نشره كانت الأوسع انتشاراً والأكثر شهرة.

وكان صاحب التصنيف الأول هو المؤرخ الأمريكي الأشهر بين مؤرخي الحضارات في العالم ول ديورانت[1] Will Durant في كتابه الأشهر بين كتب تاريخ الحضارات: قصة الحضارة

---

(1) ول ديورانت مؤرخ أمريكي شهير ولد عام ١٨٨٥م وتوفي عام ١٩٨١م، من أعظم مؤلفاته "قصة الحضارة" في ٤٢ مجلداً، وقد استغرق تأليفة مدة خمسين عاماً تقريباً.

The story of civilization في المجلد المسمى: عصر الإيمان The age of faith.

وتكمن قيمة شهادة ول ديورانت وشهادته في كونها نتيجة بحث ودراسة استمرت نصف قرن من الزمان شملت تاريخ الحضارات الإنسانية المتعاقبة ورجالاتها وأبطالها وأفكارها وعقائدها؛ كما أنها دراسة توفر لها ما لم يتوفر لبحوث ودراسات أخر من جهة القدر الكبير من الكتب والمخطوطات والمصادر الإسلامية وغير الإسلامية التي نُشرت وحقّقت، مما مكّن ول ديورانت Will Dutant من إصدار حكم موضوعي على أسس علمية راسخة. يقول ديورانت[1]:

" If we judge greatness by influence, he was one of the giants of history. He undertook to raise the spiritual and moral level of a people harassed into barbarism by bear and foodless wastes, and he succeeded more completely than any other reformer, seldom has any man so fully realized his dream. He accomplished his

---

(1) Will Durant, The story of civilization vol:4 The age og faith. P.174, simon and Schuster New York 1950.

purpose through religion not only because he himself was religious, but because no other medium could have moved the Arabs of his time"

" إذا حكمنا على العظمة بقدر ما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ. فقد أخذ على نفسه أن يرتقي بالمستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به حرارة الجو وجدب الصحراء في دياجير الظلام. وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يقاربه فيه أي مصلح أخر في التاريخ كله، فقلَّ أن تجد إنساناً غيره قد حقّق كل ما كان يحلم به. وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه."

وقد يظن ظان أن نص ديورانت يضع النبي في مرتبة أحد العظماء وليس أعظم العظماء، لكن نهاية النص تؤكد على أن

مقصده مرتبة أعظم العظماء، وذلك ما أكّده مرة أخرى في الفصل الذي عقده عن القرآن والأخلاق، قائلا[1]:

"No reformer ever more actively taxed the rich to help the poor .Every will was expected to leave something to the poor; if a man died intestate his natural heirs were directed to give a part of their inheritance to charity."

" ولسنا نجد في التاريخ مصلحاً فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد لإعانة الفقراء، وكان يحضُّ كل مُوْصٍ بأن يخصص من ماله جزءاً للفقراء، وإذا مات رجل ولم يترك وصية فرض على ورثته أن يخصصوا بعض ما يرثون لأعمال الخير."

وجاء التصنيف الأمريكي الثاني في المنبر الأوسع انتشاراً في العالم وهو مجلة تايم الأمريكية في عددها الذي خصصته للإجابة عن السؤال الشائك: مَنْ هم أعظم قادة التاريخ البشري؟ وقد تصدى جولز ماسيرمان[1] Jules Masserman للجواب عن

---

[1] Will Durant, The story of civilization Vol.4. p.180

[1] جولز ماسبرمان محلل نفسي أمريكي، أستاذ في علم النفس بجامعة شيكاغو.

السؤال الشائك استناداً إلى عدد من المعايير العلمية التي سنعرضها لاحقاً في المبحث التالي من كتابنا، ويأتي تصنيف ماسيرمان على قدر من الأهمية والخصوصية لوجوه:

أولها: أنه اختصاصي في علم النفس والتحليل النفسي وهي كلها علوم وأمور ذات تعلق بالوحي من جهة الوعي به وطرائق تلقيه واستقباله والظواهر المتعلقة بذلك وهي مسائل كانت محلاً للمطاعن والشبهات المثارة حول رسول الإسلام ﷺ.

الثاني: أن صاحب التصنيف يهودي غربي مما يعيد إلى الواقع التواصل في الحق بين المنصفين القدامى من أحبار اليهود مثل عبدالله بن سلام وغيره الذين أنصفوا رسول الإسلام ثم انضموا إلى ركاب الحق معه، وبين المنصفين المعاصرين مما يؤكد وحدة الحق وأحاديته، وأن النفس إذا ارتقت فوق تحيزاتها لا تملك إلا الانصياع له.

الثالث: أن الشرفاء والشجعان لا يخلو منهم زمان أو مكان، إذ من الصعب أن تخرج بتصنيف يقدم محمداً ﷺ على موسى وعيسى في وطن مثل أمريكا، ولدىإعلام مثل إعلامها،

وبـين جماعـات ضـغط مثـل جماعاتهـا ، ممـا قـد يكلـف الإنسان الكثير.

وقـد أجـاب ماسـيرمان Massermon عـن السـؤال الشـائك بالجواب التالي(١):

" Leaders must fulfill three functions.... Provide for the well-being of the led ،provide a social organization in which people feel relatively secure, and provide them with one set of beliefs.

People like Pasteur and Salk are leaders in the first sense. People like Gandhi and Confucius on one hand, and Alexander, Caesar and Hitler on the other, are leaders in the second and perhaps the third sense. Jesus and Buddha belong in the third category alone.

Perhaps the Greatest leader of all times was Mohammed, who combined all three functions.

To a lesser degree Moses did the same."

---

(1) TIME, July 15, U.S..A 1974

"يجب على القادة استيفاء ثلاث مهام:

١. توفّر التكوين القيادي الصحيح في شخص القائد.

٢. تهيئة النظام الاجتماعي الذي يحقق الأمن والأمان للناس.

٣. إمداد الناس بمجموعة موحّدة من المعتقدات.

إن أمثال باستير وسالك كانوا قادة بالمفهوم الأول، وأناساً مثل غاندي وكونفوشيوس من جهة، والإسكندر وقيصر وهتلر من جهة أخرى كانوا قادة بالمفهوم الثاني وربما الثالث، أما عيسى وبوذا فينتمون إلى العظمة من النسيق الثالث وحده.

وربما يكون أعظم القادة في كل العصور هو محمد الذي جمع بين المهام والمفاهيم الثلاثة كلها. وقد فعل موسى الشيء نفسه بدرجة أقل."

أما التصنيف الأمريكي الأشهر والأوقع؛ لكونه الأكثر حداثة؛ ولكونه الأكثر تحديدا واختصاصا بمسألة تصنيف العظماء وتحديد أعظمهم، وذلك من خلال دراسة مستقلة في

الموضوع ذاته تحت العنوان نفسه، فهو تصنيف مايكل هارت[١] Michael H.Hart في كتابه:

The 100, A Ranking of the Most influential Persons in History المائة: تصنيف الأشخاص الأكثر تأثيراً في التاريخ.

وإذا كان الأمريكي كارل إرنست قد وجد صعوبة في نشر كتاب إيجابي عن محمد ﷺ، فكم هو هائل قدر المصاعب التي تواجه كتاباً يتضمن تصنيفاً هو الأبرز والأعلى والأدق إعلانا لشخص الأعظم في تاريخ البشرية رسول الإسلام محمد ﷺ.

ولما لم يكن ذلك بالأمر الخافي أو المُلْبس أو الهين فقد عبر عنه مايكل هارت بوضوح في صدر كتابه وتصنيفه قائلاً[٢]:

"My choice of Muhammad to lead the list of the world's most influential Persons may surprise some readers and may be questioned

---

[١] مايكل هارت، هو عالم الفلك والرياضيات الأمريكي المعاصر، يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية، حصل على الدكتوراه في علم الفلك من جامعة برنستون عام ١٩٧٢م

[٢] Michael Hart, The The 100, A Ranking of the Most influential Persons in History, p.33. citadel press Secaucus. New Jersey 1987.

by the others, but he was the only man in the history who was supremely successful on both the religious and secular levels.

Of humble origins. Muhammad founded and promulgated one of the world's great religions, and became an immensely effective political leader .Today, thirteen centuries after his death, his influence is still powerful and pervasive."

" إن اختياري محمداً؛ ليكون على رأس قائمة الأشخاص الأعظم تأثيراً في العالم قد يُدهش بعض القراء، وقد يثير التساؤلات لدى آخرين، لكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقق النجاح الأسمى على المستويين الديني والدنيوي كليهما. **فعلى الرغم من النشأة المتواضعة أسس محمد ونشر أعظم الأديان في العالم، وأصبح واحداً من قادة العالم السياسيين العظام؛ واليوم بعد مرور ثلاثة عشر قرناً على وفاته لا يزال تأثيره قوياً وعارماً.**

بعد أن بيّن مايكل هارت صعوبة الإعلان والنشر لمثل هذا التصنيف الذي يضع محمداً على رأس قائمة عظماء العالم أخذ

في استعراض مبرراته ومعاييره التي جعلته يضع محمداً في صدارة قائمة تضم المسيح عيسى، وذلك أمر ليس بالهيّن في وقت صدور الكتاب، فكيف يكون الحال لو أن هذا الكتاب قد تأخر ظهوره إلى ما بعد الحادي عشر من سبتمبر وحقبة الحرب على الإرهاب؟!.

وبعد أن يقدم مايكل هارت معاييره وأدلته الثبوتية التي يبرهن من خلالها على تصنيفه، يقرر في حسم تفرد النبي محمد ﷺ في عظمته وتحليقه بتلك العظمة فوق متناول جميع العبر، قائلا[1]:

"We see, then, that the Arab conquests of the seventh century have continued to play an important role in human history, down to the present day. It is this unparalleled combination of secure and religious influence which I feel entitles Muhammad to be considered the most influential single figure in human history."

" نحن نرى – لذلك - أن الفتوحات العربية التي تمت في القرن السابع استمرت تلعب حتى يومنا هذا دوراً هاماً في تاريخ البشرية، وأن هذا الاتحاد الفريد الذي يجمع بين التأثير الديني

(1) Michael Hart, The 100, p. 40

والـدنيوي معاً يسـتوجب علينـا أن نعـدّ محمـداً الشـخص المنفـرد الأعظم تأثيرا في تاريخ البشرية."

المطلب الثاني: معايير عظمته ﷺ

إذا كان المنصفون قد أجمعوا على عظمة محمد ﷺ فإن ذلك الإجماع يزيد من قيمته تلك المعاير الدقيقة التي وضعها المنصفون واستندوا إليها في الحكم بعظمة محمد ﷺ بعد أن طبقوها تطبيقاً صارماً.

ولم تكن الدقة وحدها هى السمت الوحيد الذي ميّز معايير الحكم الغربي بعظمة رسول الإسلام، بل كانت هناك خاصتان أخريان ضمنتا لتلك المعايير سلامة الحكم وصحته المستند إليها، وهما:

الأولى: الموضوعية:

لاشك أن الموضوعية وقابلية التحقق هي أهم ما يمكن أن يتميز به معيار، أو قانون، أو أساس ما، لأن ما لا يمكن التحقق من وجوده، أو من آثاره، أو من سلامته، يظل أمراً منتمياً إلى عالم النظرية أو الخيال. لذلك استند المنصفون إلى الآثار والمنجزات الواقعية الملموسة لرسالة النبي ﷺ في حكمهم بعظمة النبي ﷺ، ولم تكن تلك الآثار مادية دنيوية فحسب، بل روحية دينية كذلك، وقد وفّرت هذه الآثار والمنجزات لمعايير عظمة النبي

ﷺ عنصر الصحة والسلامة؛ لكونها جسَّدت الموضوعية في تلك المعايير، وكشفت عن قابلية تحققها في عالم الواقع الملموس والحي.

الثانية: التنوع:

فقد تعددت تلك المعايير وتنوعت تنوعاً كبيراً يرجع إلى تباين، وتعدد اهتمامات، واختصاصات، وطبائع الغربيين الذين قاموا على دراسة سيرة النبي ﷺ ورسالته، ما بين لاهوتي، ومستشرق، ومفكر، ومثقف، ومؤرخ، وفيلسوف، وأديب، وعالم أديان، وعالم تجريبي، أو عالم رياضيات.... إلخ فقد أدى التنوع والتعدد في تخصص المهتمين بسيرة النبي ﷺ إلى توسيع المنظور، والقيمة، والأسس التي يحتكمون إليها في القول بعظمته ﷺ.

ولاشك أن ذلك يعنى شدة وضوح تلك العظمة وشمول جوانبها بحيث يسهل إدراكها على كل من التمسها أيًّا كان اهتمامه واختصاصه، وأيًّا كان الجانب الذي ينظر إليه في سيرة النبي ﷺ.

وسوف نحاول رصد تلك المعايير متوخين تحقيق غرضين، أولهما: تصحيح الفهم المغلوط حول تلك المعايير من خلال الظن بأنها معايير دنيوية صدرت عن علمانيين لادينيين، ومن ثم فهي ليست جديرة بالحكم على صاحب رسالة إلهية وشريعة ربانية، والثاني: محاولة الوقوف على قدر التميز والتنوع الذي اختصت به تلك المعايير. فقد تمحورت تلك المعايير في محورين كبيرين أفسحا

المجال وفتحا الباب واسعاً أمام التنوع والتعدد وهما المحور الديني والمحور الحضاري الإنساني.

تقول كارين آرمسترونج Karen Armstrong [(١)]:

"Muhammad's was an extraordinary achievement.He had not relied simply on divine inspiration but, according to the Qu'ranic principle, he had used all his natural resources and considerable personal genius to carry the day."

" لقد أنجز محمد إنجازاً فذاً، فلم يستند فقط إلى الوحي الذي أنزله الله عليه، بل إنه وظّف كل موارده الطبيعية وعبقريته الشخصية الفائقة طبقاً للمباديء القرآنية إلى أن تمكن من تحقيق النجاح."

لذا لابد من أجل الإلمام بتلك المعايير ومدى تنوعها من ضرورة تناولها من خلالها بعديها: الديني والحضاري الإنساني، وذلك على النحو التالي:

---

(1) Karen Armstrong, Muhammad, p. 349

أولاً: المعيار الديني:

إن الحضور القوي للمعيار الديني في الحكم بعظمة النبي محمد ﷺ قد شمل جانبين:

الجانب الأول: رسالة النبي:

فقد أبرز المنصفون منذ البداية دور الرسالة المحمدية والدعوة إليها كمعيار للحكم بعظمته، بل إن رودى بارت يجعل ذلك الدور هو مكمن عظمته ﷺ، قائلاً[1]:

"Muhammeds Groesse und Einmaligkeit zeigt sich eben darin, dass er sich immer der menschlichen Gemeinschaft,der er angehoerte, verbunden fuehlte und auf sie einzuwirken bestrebt war.Nachden er sich selber erst einmal zur Erkenntnis der goettlichen wahrheit durchgerungen hatte, glaubte er sich verpflichtet, auch seine mekkanischen landsleute und darueber hinaus alle Araber auf den weg des Heils zufuehren."

---

(1) Rudi Paret, Muhammed und der Koran,s: 139

" تكمن عظمة النبي محمد وتفرده في نزوعه وتطلعه إلى العمل على مساعدة المجتمع الإنساني المحيط به، فبعد تلقيه وامتلاكه الحقيقة الإلهية، وجد لزاماً عليه الأخذ بيد قومه المكيين وكل العرب إلى طريق النجاة والخلاص."

وتضيف كارين آرمسترونج Karen Armstrong بُعداً جديداً إلى دور الدين في الحكم على عظمة النبي ﷺ، بإسنادها أسباب عظمة محمد ﷺ إلى العون الإلهي. تقول آرمسترو[٣]:

"Divine aid seemed the only possible explanation for Muhammad's extraordinary Success"

" كان العون الإلهي فيما يبدو هو التفسير الأوحد للنجاح الفذ الذي حققه محمد."

ويؤكد إميل درمنغم Emile Dermenghem أن الدين إذا كان أساس تقدير عظمة الأنبياء فإن محمداً ﷺ له خصوصية في

---

[1] Karen Armstrong, Muhammas , p.249

ذلك؛ نظراً للحالة الدينية التي كان عليها العالم وجاء محمد ﷺ لإصلاحها. يقول درمنغم(٢):

"Prophets are sent into the world exactly as the great forces of nature, both beneficial and terrible in their effects. They are like the sun and the rain, the winter tempests in Arabia that tear up the soil only to cover it again with a carpet of greenery in a few days' time. We must judge them by their fruits. The best fruits are hearts and minds that have been pacified, wills that have been strengthened, pains borne with patience, moral mounded to the pristine heavens.

Although alone, without moral or material support, opposed by the earthly spirit, prophets carry with them the secret of the greatest liberation; for it is better to disobey man than to disobey God before whom all are equal and should bow down; the spirit should

(2) Emile Dermenghem , The Life of Muhammed, p.247-248

be given preference over the letter. Ignorance of all things save absolute truths, not so much illiterate as pure, natural and supernatural, freed from all prejudices, inspired either by the intelligence or the heart, a perfect prophet and simple soul stepped forth to explain to the learned what they had been discussing, to straighten out the tortuous roads in which the so-called wise men had lost their way. In listening to this prophet's inspired discourse and his parable suited to the period, men again felt themselves in contact with surrounding mysteries, humbled themselves before God and learned how to arrange their fleeting lives so as to either satisfy or disobey him, therein.

Finding a living rule such as neither the advice of philosophers nor heads of state could give.Mahomet appeared on the scene at one of the darkest periods in all history, when all the civilizations, from Merovingian Gaul to India, were falling to ruin or were in a state of troubled gestation.

" شأن الأنبياء في العالم كشأن قوى الطبيعة الكبيرة الهائلة النافعة، كشأن الشمس والمطر، كشأن عواصف الشتاء التي تهز الأرض وتثيرها لتتزين ببساط أخضر في بضعة أيام. يُقدَّر الأنبياء بما أسفرت عنه رسالاتهم من النتائج، وأحسن شهادة لهم ما يورثونه من راحة العقول وسكينة القلوب، وشدّ العزائم والصبر على الشدائد، وشفاء الأخلاق المريضة، والأدعية، والصلوات التي تصَّعد في السماء.

يأتى الأنبياء، وهم الذين لا حول لهم ولا معين، وهم الذين يقاتلهم الناس غروراً بسِرِّ الحرية العليا، فيقولون خيرٌ للإنسان أن يعصى الناس من أن يعصى الله الذى يتساوى الجميع أمامه وحده، والذى يجب على الجميع أن يسجدوا له دون سواه، ويقولون إن المقصد والمعنى أفضل من اللفظ والمبنى.

قام محمد، الأمِّىُّ الجاهل لكل ما لا يمت إلى العلم المطلق بصلةٍ، والنقىَّ، الفطرىَّ، الكامل، الطليق من فساد العقل والقلب، يدعو العلماء ليتفقهوا ما يقولون ويُقوَّمُ ما يتيه فيه الحكماء من معوج الطرق.

فالناس حين يستمعون لكلامه الموحى إليه به ولأمثاله الملائمة لروح الزمن(إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما

فوقها) يعود إليهم سابق اتصالهم بالسر المحيط بهم، خاشعين لله عالمين كيف يسلكون أحد النجدين، مهتدين إلى مبدأً حيٍّ، ناطق، لا يجدون مثله في نصائح الفلاسفة وآراء أقطاب السياسة.

وكان ظهور محمد في دور من أشد أدوار التاريخ ظلاماً، في دور كانت الحضارات التي قامت في البلدان الممتدة من بلاد الغول إلى بلاد الهند مضطربةً متداعية."

ويجعل جوستاف فون جرونباوم Gustave E. Von Grunebaum الدين على رأس العوامل التي أدت إلى نجاح محمد ﷺ وعظمته، قائلا:[1]

"The reason for Mohammed's success were many and varied, some purely political and some due to unexpected assistance of fortune. But the basic causes of his appeal to his contemporaries without which no political constellation, however favorable, and no stroke

---

[1] Gustave E. Von Grunebaum, Medieval Islam; A study in cultural Orientation, p.72-73. The university of chicage press. Chicago-london.1969

of luck, however dazzling, could have stabilized his work would seem to be these:

1. *His was the most elaborate and the most consistent religious system over developed by an Arab.*
2. *This system contained satisfactory answers to the problems exercising his compatriots and responded to the mood of the times.*
3. *It lifted the Arabic-speakers world to the level of the other scripturaries.*
4. *By placing himself at the end of a long line of prophets that included Adam, Abraham, Moses, and Jesus, Mohammed explained and legitimized his own advent, suggested the greater perfection and the finality of his version of the Book of God and gave the Arab nation metaphysical significance by connecting it at the most honorable and crucial stage with the great drama of God's self-*

revelation in history, making them the Lord's tool in the propagation of the ultimate truth.

5. *Mohammed greatly increased the Arabs' articulateness.*
6. *He taught the lesson that a community under God was more meaningful and thus of greater political promise than a community under tribal law.*

The impulse which compelled Mohammed, the scion of a noble but impoverished branch of the Quraish, to rise up to warn and teach his people was the overwhelming consciousness of the moral accountability of man and of the Judgment, not far off, when the Lord would hold each soul responsible, to reward or condemn according to its deserts .He was to admonish them before it was too late. Their rate in the hereafter was at stake, their moral laxness their danger, their thoughtless idolatry their most awesome failing"

كانـت الأمـور الـتي أدت إلى فـوز محمـد كـثيرة ومتنوعـة، بعضها سياسي بحت وبعضها راجع إلى عون غير متوقـع ألقـاه إليـة الحظ.

ونجـد فيمـا يـأتى الأسـباب الأساسـية التـى أفضـت إلى قبـول معاصريه لدعوته، والتى بدونها لم يكن أى التفاف سياسي حوله مهما اجتمعت قلوبهم عليه، ولا أية لمسة من لمسات الحظ مهما كانت أضواؤها تبهر الأبصار، ليستطيع أن يبقى على عمله:

١. ان نظامـه الـديني كـان أشـد مـا أنتجـه عربـى مـن نظـم الديانات إحكاماً وأعظمها توافقاً وتماسكاً.

٢. كان هذا النظام ينطوى على أجوبة مقنعة للمسائل التى كانت تشغل مواطنيه؛ كما كان يتجاوب وروح عصره

٣. أنـه رفـع العـالم النـاطق بالعربيـة إلى مسـتوى العـوالم الأخرى ذات الكتب المنزلة.

٤. أن الوحى حين وضع محمداً في خاتمة سلسلة طويلة من الأنبيـاء منهم آدم وإبـراهيم وموسـى وعيسـى، إنمـا قـد سوَّغ ظهوره وفسَّره، كما أشار الوحى أيضاً إلى ما عليه الصـورة التـى أوردهـا لكتـاب الله مـن الكمـال الأعظـم

والسمة الختامية بالنسبة لغيره من الكتب المنزلة، كما منح الأمة العربية أهمية غيبية ميتافيزيقية بوصلها في أشرف المراحل وأدقها بتلك الدراما العظيمة، دراما وحى الله وتجلى ذاته في التاريخ، جاعلاً إياهم وسيلة الله في إشاعة الحق الأعلى.

٥. زاد محمد كثيراً في فصاحة العرب.

٦. علّم الناس أن المجتمع في ظل الله أحفل بالمعانى، فهو من ثم أعمر بالآمال السياسية من مجتمع بظل القوانين القبلية.

وكان الدافع لمحمد، وهو وريث فرع نبيل من قريش وإن مسه الفقر أن ينهض لينذر قومه ويعلمهم، هو الوعى الجارف بمسئولية الإنسان الخلقية وبالحساب القريب زمانه، يوم يجعل الله كل نفس مسئولة تثاب أو تعاقب حسبما قدمت يداها.

لقد كان عليه أن ينذرهم قبل أن يفوت الأوان. فإن حظهم في الآخرة كان دائماً محفوفاً بالمخاطر، وتهاونهم الخلقي مصدر الخطر عليهم، وعبادتهم الحمقاء للأصنام أرهب نقيصة فيهم.

الجانب الثاني: دوره الديني وتدينه الشخصي العميق:

جاءت معايير المنصفين في شقها الديني ليست مراعية جانب الرسالة الإسلامية وقيمتها وتوقيت نزولها والظروف التي أُبلغت فيها فحسب، لكن راعت تلك المعايير الدور الديني الذي اضطلع به النبي ﷺ في قيادة أمته وإخراجها من الظلمات إلى النور، فيقول مايكل هارت Michael Hart عن هذا الدور في تقييم عظمة محمد ﷺ:

"How, then, is one to assess the overall impact of Muhammad on human history? Like all religions. Islam exerts an enormous influence upon the lives of its followers. It is for this reason that the founders of the world's great religions all figure prominently in this book. Since there are roughly twice as many Christians as Moslems in the world, it may initially seem strange that Muhammad has been ranked higher than Jesus. There are two principal reasons for that decision. First, Muhammad played a far more important role in the development of Islam than Jesus did in

the development of Christianity. Although Jesus was responsible for the main ethical and moral precepts of Christianity (insofar as these differed from Judaism), St.Paul was the main developer of Christianity theology, its principal proselytizer, and the author of a large portion of the New Testament.

Muhammad, however, was responsible for both the theology of Islam and its main ethical and moral principles. In addition, he played the key role in proselytizing the new faith, and in establishing the religious practices of Islam. Moreover, he is the author of the Moslem holy Scriptures, the Koran, a collection of certain of Muhammad's insights that he believed had been directly revealed to him by Allah. Most of these utterances were copied more or less faithfully during Muhammad's lifetime and were collected together in authoritative form not long after his death. The Koran, therefore, closely represents Muhammad's ideas and teachings and to a considerable extent his exact

words. No such detailed compilation of the teachings of Christ has survived. Since the Koran is at least as important to Moslems as the Bible is to Christians, the influence of Muhammad through the medium of the Koran has been enormous. It is probable that the relative influence of Muhammad on Islam has been larger than the combined influence of Jesus Christ and St, Paul on Christianity. On the purely religious level, then, it seems likely that Muhammad has been as influential in human history as Jesus.

Furthermore, Muhammad (unlike Jesus) was a secular as well as a religious leader. In fact, as the driving force behind the Arab conquests, he may well rank as the most influential political leader of all time"

" إذن كيف يمكننا أن نقّيم أثر محمد الكليّ على التاريخ البشري؟

وكجميع الأديان فإن الإسلام له نفوذ هائل على اتِّباعه وحياتهم، ولهذا السبب فإن القارىء سوف يجد اسماء مؤسسي معظم الأديان في هذا الكتاب.

وبما أن هنالك من المسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم فإنه من الطبيعي أن يبدو غريباً تصنيف محمد في مرتبة أعلى من يسوع المسيح. ولكن هنالك سببين رئيسيين لذلك القرار:

أولهما: أن محمداً ﷺ لعب دوراً أكثر أهمية في تطوير الإسلام من الدور الذي لعبه المسيح في تطوير المسيحية، مع أن المسيح كان مسؤولاً عن المبادىء الأدبية والأخلاقية للديانة المسيحية (في النواحي التي تختلف بها هذه المبادىء عن الديانة اليهودية)، إلا أن القديس بولس كان المطوّر الرئيسي للاهوت المسيحي، وكان الهادي الرئيسي للمعتقدات المسيحية والمؤلف لجزء كبير من العهد الجديد.

ثانياً: أن محمداً ﷺ كان مسؤولاً عن العقيدة الإسلامية ومبادئها الرئيسية الأدبية والأخلاقية. بالاضافة إلى ذلك فقد لعب دوراً قيادياً في الهدي للدين الجديد وتأسيس الفروض الدينية في الإسلام، وهو الذي أنزل عليه القرآن (

الكتاب الإسلامي المقدس)، وهو مجموعة من الآيات ذات البصيرة النافذة التي أوحيت اليه مباشرة من قبل الله، ومعظم هذه الأقوال دُوِّنت وسُجِّلت خلال حياة محمد، ثم إنها جمعت بشكل رسمي موثوق بعد وفاته بفترة وجيزة.

ولذلك فإن القرآن يمثل الأفكار والتعاليم التي أوحاها الله للرسول، ولكن لم يبق أي أثر يشبه هذا من آثار المسيح. وبما أن القرآن له تأثير على المسلمين يشبه تأثير الكتاب المقدس المسيحي على المسيحيين، فإن نفوذ محمد من خلال القرآن أصبح ضخماً جداً وهائلاً. ومن المحتمل أن تأثير محمد على الإسلام أكبر بكثير من التأثير المزدوج للمسيح والقديس بولس على المسيحية؛ ولهذا فإنه من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمداً كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح.

وفوق ذلك فإن محمداً يختلف عن المسيح بأنه كان زعيماً دنيوياً فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمداً يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال.

ويزيد هانزكينج Hans Kueng هذا الدور الديني تفصيلاً ببيان جوانب التأثير الهائل لدور النبي ﷺ الديني، قائلاً[1]:

- Der prophet hat damit die Araber – gemessen am sehr diesseitigen polytheismus der alterabischren stammesreligionen- auf ein den benachbarten Grossreichen vergleichbares religioeses Niveau gehoben. Der Islamals eine monotheistische, ethische Hochreligion.

- Der prophet hat durch den Koran unzaehligen Menschen seines und der folgenden Jahrhunderte unendlich viel Inspiration, Mut und Kraft zu einem religioesen Neuaufbruch geschenkt: zum Aufbruch in groessere wahrheit und tiefere Erkenntnis, zum Durchbruch auf Verlebendigung und Erneuerung der Veberlieferten Religion. Der Islam als die grosse lebenshilfe.

(1) Hans Kueng, Der Islam, s: 159.

-ارتقى النبي بالعرب- قياساً بما كانوا عليه من ديانات الآباء الوثنية المتدنية- إلى مستوى ديني يمكن مقارنته بما عليه الممالك الكبرى المجاورة للإسلام كديانة توحيدية أخلاقية كبرى.

-أهدى النبي من خلال القرآن أعداداً غير محدودة من البشر في عصره وبعد عصره إلى مالا نهاية كثيراً من الإلهام والشجاعة والقوة، لبداية دينية جديدة، لاختراق الحقيقة الكبرى والمعرفة العميقة، لاختراق تنشيط وتجديد تقاليد ديانة الإسلام كدعم حياتي كبير".

ولم يكن الدور الديني للنبي ﷺ فقط هو محل عناية المنصفين، بل التدين العميق الذي كان عليه النبي ﷺ، ذلك التدين الذي لا يمكن مقارنته بأي شخص آخر بما كان له من أثر بالغ، كما يقول بارتلمي سانت *هيلر* M.Barthelemy Saint-Hillaire[1]:

"Mahomet a ete le plus intelligent, le plus religieux, le plus clement des Arabes de son temps.Il n'a du son empire qu'a sa superiorite.

---

[1] La civilization desArabes, P.93

La religion prechee par lui a ete un immense bienfait pour les races qui l'ont adoptee."

"كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاء وأشدهم تديناً وأعظمهم رأفة، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقة عليهم، ونعدّ دينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته."

ويعد روم لاندو Rom Landau ذلك التدين الفطري أحد العوامل الهامة التي هيأته لحمل الرسالة، قائلاً[١]:

"Muhammad was religious by nature and was evidently predisposed to the message of reform that he received in his visions. In addition to his spiritual nature."

" كان محمد تقياً بالفطرة، وكان من غير ريب مهيّأ لحمل رسالة الإصلاح التي تلقاها في رؤاه بالإضافة إلى طبيعته الروحية"

وبسبب غلبه التقوى والروحانية على شخصية النبي ﷺ، فقد جعلها ردوى بارت Rudi Paret مفتاح شخصيته الحقيقية ﷺ، بقولـــــه[٢]:

"Mohammed war in Grund seines wesens ein religioeser Mensch. In seiner Religiositaet liegt der Schluessel zum verstaendnis Seiner persoenlichkeit."

---

(1) Rom Landau,Islam and the Arabs, p.22

(2) Rudi Paret, Moammed und der Koran, s: 136.

" امتلك النبي محمد في الأصل شخصية دينية، وفي نزعة التدين لديه نجد المفتاح لفهم شخصيته"

ثانياً: المعايير الحضارية

لا شك أن اعتداد المنصفين بالمعايير الحضارية مقياساً لعظمة النبي ﷺ يكشف عن تفرد النبي ﷺ في عظمته لأنها تجمع بين أسباب التفرد الديني والحضاري.

لكن الملاحظ أن أكثر عوامل التفرد الحضاري في جوانب عظمة النبي ﷺ التي أثبتها المنصفون تدور حول الجانب الديني كذلك، وترتبط به، وتنبني عليه، سواء بكونها نتيجة للعمل الديني أو مظهراً من مظاهره، ولم يختلف ذلك التقييم منذ بداياته في القرن التاسع عشر حتى اليوم، إذ تشترك جميعها في الاحتكام إلى مقياس" الأمة" التي أسسها النبي ﷺ دليلاً على عظمته:

ففي عام ١٨٥٤م وضع الفرنسي لامارتين Lamartine مقاييسه الثلاثة للعظمة الإنسانية التي اطبقت على النبي محمد ﷺ بأتمّ وأكمل جوانبها، قائلاً[١]

'If greatness of purpose.

---

(1) Lamartine, Historie de la turguie, paris 1854. vol.II pp.276-277.

smallness of means

and astounding results

are the three criteria of human genius, who could dare to compare any great man in modern history with Muhammed?

The most famous men created arms, laws and empires only. They founded, if anything at all, no more than material powers which often crumbled away before their eyes. This man Muhammed moved not only armies, legislations, empires, people and dynasties, but millions of men; and more than that the alters, the gods, the religions, the ideas, the beliefs and the souls.

on the basis of a Book, every letter of which has become law, he created a spiritual nationality which blended together peoples of every tongue and of every race...

The idea of the unity of god, proclaimed amidst the exhaustion of fabulous theologies, was in itself such a miracle that upon its

utterance from his lips it destroyed all the ancient superstitions...

His endless prayers, his mystic conversations with God, his death and his triumph after death: all these attest not to an imposture but to a firm conviction which gave him the power to restore a dogma. This dogma was twofold, the unity of God and the immateriality of God; the former telling what God is, the latter telling what God is not... "

" لو أن عظمة الغاية، وقلة الوسائل، والنتائج المذهلة، هى المقاييس الثلاثة لعبقرية الإنسان فمن الذي يجرؤ على مقارنة أى رجل عظيم في التاريخ الحديث بمحمد؟

إن أشهر الرجال أسسوا الجيوش ووضعوا القوانين وأسسوا الإمبراطوريات فقط، إنهم لم ينشئوا أكثر من سلطات مادية كثيراً ما ضعفت أمام أعينهم. إن هذا الرجل محمد لم يؤثر فقط في الجيوش والتشريعات والإمبراطوريات والشعوب والأسر الحاكمة، ولكنه أثّر أيضاً في ملايين الرجال، بل وأكثر من

ذلك فقد أزاح مذابح الكنائس وغيرها من الأنصاب والآلهة والأديان والأفكار والمعتقدات الزائفة والأنفس الضالة.

وقد خلق أمة روحية جمعت معاً أناساً من مختلف الألسنة والأجناس على أُسس كتاب كل حرف منه أصبح قانوناً وشريعة.

إن فكرة وحدانية الله التى طُرحت وسط النظريات اللاهوتية الخرافية المستهلكة كانت في حد ذاتها معجزة حتى أنه بمجرد نطقها من شفتيه، دمَّرت كل المعتقدات الخرافية القديمة.

إن دعواته، وصلواته اللانهائية، ومحادثاته الروحية مع الله، ووفاته، وانتصاره بعد وفاته، كلها أمور لا تشهد على انه كان مخادعاً، بل إنها تؤكد على إيمان راسخ منحه القوة ليصلح عقيدة ويكملها.

هذه العقيدة كانت مزدوجة تتمثل في توحيد الله وأنه ليس كمثله شىء، مما يعّرفنا بالله ما هو، وما ليس فيه".

ولم يكد بوزوورث سميث Bosworth Smith يختلف معه عندما حصر أسباب تفرد محمد ﷺ في ثلاثة قائلاً[1]:

"By A fortune absolutely unique in History, Mohammed is A Threefold founder of A Nation, of an Empire, and of A Religion."

" من حسن التوفيق إنه لأمر فريد على الإطلاق في التاريخ أن محمداً مؤسس لثلاثة أشياء: الأمة، والامبراطورية، والدين."

واتفقت الانجليزية المعاصرة كارين آرمسترونج Karen Armstrong مع لامارتين، وبوزوورث سميث حول المقاييس الثلاثة، بقولها[2]:

" If we could view Muhammad as we do any other important historical figure we would surely consider him to be one of the greatest geniuses the world has known. To create a literary masterpiece, to found a major religion and a new world power are not ordinary achievements. But to appreciate his genius to

---

(1) Bosworth Smith, Mohammed and Mohammedanism.P.19. London 1946.
(2) Karen Armstrong, Muhammad, P.52

the full, we must examine the society into which he was born and the forces with which he contended. When he descended from Mount Hira to bring the World of God to the Arabs, Muhammad was about to attempt the impossible. A few Arabs of the peninsula were moving towards monotheism, but they hade fully explored the implications of this belief in only one God. This is hardly surprising. It had taken the Jews centuries to believe that Yahweh was the only God. The ancient Israelites probably practiced monolatry: that is, they had agreed that they would worship Yahweh alone, but they believed that the other gods existed. Even Moses may not have been a through-going monotheist. The Ten Commandments which he brought to his people take the existence of other gods for granted:"Thou shalt not have strange gods before me" About 700 years elapsed between the Exodus from Egypt under the leadership of Moses (c. 1250 BCE) and the unequivocal

monotheism of the prophet, usually known as second Isaiah, who lived with the Jewish exiles in Babylon in about 550 BCE. Yet Muhammad set out to make the Arabs achieve this major change in a mere twenty-three years! We shall see that some of the Arabs begged him to adopt a monolatrous solution and to accept the cult of other gods, while he and his followers worshipped al-LIah alone; but Muhammad absolutely refused to compromise.

To proclaim belief in only one God was not a mere national, cerebral assent. It demanded a change of consciousness."

" فـنحن إن اسـتطعنا النظـر إلى محمـد كمـا ننظـر إلى الشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى، فمن المؤكد أننـا سنراه أحد أعظم العباقرة الذين عرفهم التاريخ. فلأن يأتى برائعة أدبية، ويؤسـس ديانـة عظمـى وقـوة عالميـة جديـدة، فتلـك إنجـازات غـير عادية.

ولكـى نوفّى عبقريته حقها، فإن علينا دراسة المجتمع لذى ولد فيه والقوى التى صارعها، فحين هبط محمد من غار حراء حاملاً

كلمة الله للعرب، كان يحاول المستحيل، فقد كان هناك قليلون من بين العرب في الجزيرة يقتربون من التوحيد، لكنهم لم يكونوا قد تفحصوا المعاني التى تتضمنها العقيدة في الإله الواحد، وليس ذلك بمستغرب، فقد استغرق اليهود قروناً ليؤمنوا أن يهوه هو الإله الواحد. وقد يكون الإسرائيليون قد مارسوا الأحادية في العبادة، أى أنهم قد وافقوا على عبادة يهوه وحده، لكنهم كانوا يعتقدون وجود آلهة أخرى. وحتى الوصايا العشر التى أتى بها موسى قومه (كما تذكرها توراة بني إسرائيل) تعترف ضمناً بوجود آلهة أخرى يعبدونها، فإنها تنص قائلة:" لا يكن لك آلهة أخرى أمامى". ولقد مر حوالى سبعمائة عام بين خروج الإسرائيليين من مصر تحت قيادة موسى (١٢٥٠ق.م) وبين تحقيق الوحدانية التى لا هوادة فيها على يد نبي اليهود الذي يعرف بإشعيا ISIAH الثاني، والذي كان ضمن المنفيين من اليهود في بابل عام ٥٠٠ ق.م.

أما محمد فقد انطلق ليجعل العرب يحققون ذلك الإنجاز الأكبر في فترة لا تتعدى ثلاثة وعشرين عاماً، وسنرى كيف أن بعض الأعراب ترجّوا محمداً أن يتبنوا حل الأحادية في العبادة، أى أن يعبدوا الله مع بقائهم على عقيدتهم في وجود آلهة أخرى، بينما

يعبد هو وأتباعه اللّه وحده، لكن محمداً رفض أى توفيقية وبشكل قطعى.

ولم تكن الدعوة إلى الاعتقاد في الوحدانية مجرد موافقة مفهومية عقلانية. بل كانت تتطلب تغيير الوعى الإنساني نفسه."

المبحث الثاني

شمائل الرسول الأعظم

"Mahomet a ete le plus intelligent, le plus religieux, le plus clement des Arabes de son temps.Il n'a du son empire qu'a sa superiorite. La religion prechee par lui a ete un immense bienfait pour les races qui l'ont adoptee."

" كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاء وأشدهم تديناً وأعظمهم رأفة، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم، ونعدّ دينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته."

بارتلمي سانت هيلر

لقد قادت بحوث المنصفين حول عظمة النبي ﷺ ومعايير تلك العظمة وأسبابها إلى الوقوف على شمائل المصطفى ﷺ، وأخلاقه الرفيعة التي بوّأته مكانة القدوة الحسنة والمثال الرفيع لأمته الإسلامية، ولكل باحث عن الفضيلة.

وعلى الرغم من عدم توقف المنصفين طويلاً أمام تلك الشمائل وتصنيفها وتحليلها رغم أهميتها في الحكم على عظمة النبي ﷺ، لكنهم توقفوا أمام صنفين من شمائل النبي ﷺ وأخلاقه الرفيعة؛ الصنف الأول ما ارتبط بالمفاهيم الخاطئة في الغرب حول النبي ﷺ وسوف يكون مجاله المبحث الثالث الذي سيعالج هذا المحور إن شاء الله. أما الصنف الثاني فهو الأخلاق النبوية المرتبطة بأصالة الوحي المحمدي وصحته خاصة الصدق والإخلاص، إلى جانب إطلالة عامة على بعض الشمائل الشخصية للنبي ﷺ، وذلك ما سوف نتتبعه فيما يلي:

أولا: الصدق والإخلاص

بدأ الحديث عن فضيلة الصدق والإخلاص لدى النبي ﷺ في الغرب على يد كارليل Carlyle عام ١٨٨١م. يقول مونتجمري وات Montgomry Watt [1]:

"Since Carlyle's lecture on Muhammad in Heroes and Heroworship, the west has been aware that there was a good case to be made out for believing in Muhammad's sincerity. His readiness to undergo persecution for his beliefs, the high moral character of the men who believed in him and looked up to him as leader, and the greatness of his ultimate achievement all argue his fundamental integrity."

" منذ ألقى كارليل محاضرته عن محمد ضمن سلسلة محاضراته عن الأبطال والبطولة، أصبح الغرب على وعي بوجود أساس طيب للاعتقاد في إخلاص محمد، فاستعداده لتحمل الاضطهاد في سبيل معتقداته، وسمو الرجال الذين آمنوا برسالته

[1] Montgomry Watt, Muhammad at Mecca, p.52

والـذين عـدُّوه قائـداً لهـم، وعظمـة مـا تمخضـت عنـه جهـوده مـن إنجازات، كل هذا يبرهن على تكامله الأساسي".

ومـا جانـب الصـواب مـونتجمري وات فقـد جعـل كارليـل صدق محمد ﷺ وإخلاصه في دعواه النبـوة والرسـالة أسـاس عظمـة محمـد ﷺ، وأسـاس اختيـاره نموذجـاً للبطولـة في صـورة الـنبي، وبالتالي أولاها كارليل عنايته الكبرى بادئاً بالدعوة إلى ضـرورة اسـتبعاد مـا ينـافي أو يخـالف تقريـر أصـالة ذلـك الخلـق النبـوي ورسـوخه لـدى محمـد ﷺ، قاطعـاً بأنـه مـن العـار علـى الإنسـانية أن يعتقد أحد أفرادها اليوم في صحة شيء مما يشاع حول عدم صدق محمد ﷺ وأصالة رسالته؛ لأن القبول بشـيء مـن ذلـك نـوع مـن البلـه والجنـون، وهـو دليـل علـى فسـاد الضـمائر ومـوت الأرواح، .يقـول كارليل Carlyle [١]:

"Our current hypothesis about Mahomet, that he was a scheming impostor, a falsehood incarnate, that his religion is a mere mass of quackery and fatuity, begins really to be now untenable to any one. The lies, which well-

---

(1) Thomas Carlyle, on Heroes Hero-worship,& the Heroic in History, pp.38-39

meaning zeal has heaped round this man, are disgraceful to ourselves only. When pococke inquired of Grotius, Where the proof was of that story of the pigeon, trained to pick peas from Mahomet's ear, and pass for an angle dictating to him? Grotius answered that there was no proof ؛It is really time to dismiss all that. The word this man spoke has been the life-guidance now of one hundred and eighty millions of men these twelve hundred years. These hundred and eighty millions were made by God as well as we. A greater number of God's creatures believe in Mahomet's word, at this hour, than in any other word whatever. Are we to support that it was a miserable piece of spiritual legerdemain, this which so many creatures of the Almighty have lived by and died by? I, for my part, cannot form any such supposition. I will believe most things sooner than that. One would be entirely at a loss what to think of this world at all, if quackery as grew and were sanctioned here.

Alas, such theories are very lamentable. If we would attain to knowledge of anything in God's true Creation, let us disbelieve them wholly! They are the product of an Age of Scepticism; they indicate the saddest spiritual paralysis, and mere death-life of the souls of men: ore godless theory, I think, was never promulgated in this Earth. A false man found a religion? Why, a false man cannot build a brick house! If he do not know and follow truly the properties of mortar, burnt clay and what else the works in, it is no house that he makes, but a rubbish-heap. It will not stand for twelve centuries, to lodge a hundred and eighty millions; it will fall straightway."

"لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يُظَنّ من أن دين الإسلام كذب وأن محمداً خدّاع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن

هـذه الرسـالة التـى عـاش بهـا ومـات عليهـا هـذه الملايـين الفائقـة الحصر والإحصار أكذوبة وخدعة؟.

أما أنا فـلا أستطيع أن أرى هـذا الـرأى أبداً ، ولـو أن الكـذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصـديق والقبـول فمـا النـاس الا بُلْـه ومجـانين، ومـا الحيـاة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق، فوأسفاه ! ما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضعف أهلـه وأحقهـم بالرثـاء والمرحمـة ، فعلى من أراد أن يبلـغ منزلـةً مـا فـى علـوم الكائنـات أن لا يصـدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء! فإنها نتائج جيل كفر وعصر جحود وإلحاد وهى دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح في حياة الأبدان.

ولعل العالم لم ير قط رأياً أكفـر مـن هـذا وألأم، وهـل رأيتم قط معشر الاخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً وينشـره !؟ عجباً! والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطـوب ! فهو إذا لم يكـن عليمـاً بخصـائص الجير والجص والتراب ومـا شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تَلٌّ مـن الانقـاض وكثيب من أخلاط المواد ، نعم وليس جديراً أن يبقى على دعائمه

اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن".

ثم ينفي كارليل Carlyle المزاعم المثارة في الغرب حول عدم صدق النبي وإخلاصه، فيقول[1]:

"did he start on the"career of ambition" and, belying all his past character and existence, set up as a wretched empty charlatan to acquire what he could now no longer enjoy! For my share, I have no faith whatever in that.

Ah no: this deep-hearted Son of the Wilderness, with his beaming black eyes, and open social deep soul, had other thoughts in him than ambition .A silent great soul; he was on of those who cannot but be in earnest ؛ whom Nature herself has appointed to be sincere. While others walk in formulas and hearsays, contented enough to dwell there, this man could not screen himself in formulas, he

---

[1] Thomas Carlyle, on Heroes, p. 47

was alone with his own soul and the reality of things."

" وهناك زعم بأن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا المجد الشخصي ومفاخر الجاه والسلطان. كلا وأيم الله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير- ابن القفار والفلوات المتوقد العينين، العظيم النفس، المتليء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة وحجى وجأشاً ونهى- أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا غير طلب السلطة والسعى إلى الجاه. إذ كيف يكون ذلك ونفسه نفس عظيمة، وهو رجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين. ففي الوقت الذي ترى آخرين يرتضون الاصطلاحات الكاذبة، ويسيرون حسب الاعتبارات الباطلة، تجد محمداً لم يقبل قط أن يتدثر بمألوف الأكاذيب أو يتوشح بدارج الأباطيل".

وقد أرسي كارليل بموقفه من صدقية النبي وإخلاصه دعائم اتجاه ثابت لدى المنصفين يحمل على عاتقه مسؤولية تبديد أوهام الزعم بأن محمداً ﷺ لم يكن صادقاً ولا مخلصاً في دعواه النبوة، سواء من خلال نفيهم هذا الزعم أو سوق الدلائل على تفاهته.

فمن لندن حيث ألقى كارليل محاضرته إلى باريس حيث يقرر جوستاف لوبون Gustave Le Bon بعدها بسنوات أربع أنه[1]:

"quant a pretender que Mahomet fut un imposteur, il me senble evident qu'une telle assertion ne peut se soutenir un instant."

" لا يصمد أيُّ قول بخداع محمد ثانية أمام سلطان النقد كما يبدو لي"

ثم يمضي مواطنه الفرنسي اميل درمنغام Emile Dermenghem في بيان وجوه بطلان الزعم بعدم إخلاص محمد وصدقه في رسالته، قائلاً:

"To-day we cannot question his sincerity. His whole life, in spite of his faults (and he did not deny having faults), proves that he believed profoundly in his mission and that he accepted it heroically as a burden of which he was to bear the heaviest portion. His creative ability and the vastness of his genius, his great intelligence, his sense of the practical, his will,

---

(1) Gustave Le Bon, la civilization des Arabes, p.92

his prudence, his self-control and his activity-in short, the life he led-make it impossible to take this inspired mystic for a visionary epileptic.

He never for an instant asked himself whether his changes of convincing people would not be greater if he adjusted his words to the mentality of his audience. It was certainly not with soft words that he made converts, but in presenting his brilliant message in all its vigour, simple and sharp as the edge of a sword, a message which he carefully distinguished from his personal views. If at Medina he was no longer the humble and patient Prophet of Mecca it is because the circumstances were no longer the same; had he remained the same outwardly, his essential character would have had to change. The man may have been sometimes blameworthy or weak, for action is a difficult test of purity, but the prophet remained sincere and unchanged. He may have sinned, but he did not lie. How

can we imagine a man in whose eyes success appears only as a divine confirmation suddenly becoming a liar (and surely there can be no question of his sincerity at the beginning of his career)? And how could he have dared to debase his mission at the very moment when he believed it to be confirmed?"

" ولا يستطيع أحد أن يشك اليوم في إخلاص محمد، فحياة محمد شاهدة على اعتقاده صدق رسالته التى حمل أمانتها الثقيلة ببطولة، وإن قوة إبداعه وعبقريته الواسعة وذكاءه العظيم وبصره النافذ الحديد وقدرته على ضبط نفسه، وعزمه المكين، وحذره، وحسن تدبيره، ونشاطه، وطراز عيشه، مما يمنع عَدَّ ذلك الموحى إليه الموهوب الجليَّ مبتلى بالصَّرع.

ثم إن محمداً لم يدر في خلده ثانية أن يجعل كلامه ملائماً لذهنية معاصريه حتى يسهل إقناعهم واجتذابهم إليه، وإذا كان محمد قد استمال الناس إليه فلم يكن ذلك بما هو هيّن سهل، بل بعرضه عليهم رسالته الساطعة القاطعة الحادة كالسيف المنفصلة عن أغراضه الشخصية. وإذا كان محمد عاد في المدينة لا يكون النبي الصابر المتواضع كما كان في مكة فَلتبِدّل الأحوال، وفي

ملاءمة الأحوال سر البقاء، فالرجل في جانبة الإنساني قد هفا وضعف أحياناً؛ ولكنه في جانب النبوة ظل مخلصاً ثابتاً لا يُلوى. وهو وإن أمكن خطؤه لم يكذب قط، وكيف يتصور المرء تحول الرجل إلى كاذب بغتةً (وهو الذى تتعذر نسبته إلى عدم الإخلاص في بدء بعثته) ،أما ظلّ يرى انتصاراته دليلاً على تأييد الله لرسالته؟ وكيف كان يجرؤ على إفساد رسالته في وقت تأيدت فيه ؟...

ثم جمع روم لاندو Rom Landau بين نفي عدم صدقية النبي ﷺ وإخلاصه، وبين تقديم البراهين الدامغة على صدق النبي ﷺ وإخلاصه، يقول روم لاندو Rom Landau:

"Muhammad's task was a formidable one, one that an impostor (as some early Western writers claimed he was) prompted by selfish motives, could hardly hope to accomplish by his own effort. The allegation that his periods of revelation were, in reality, epileptic seizures is palpably false; for in such an attack the victim is never coherent enough to voice passages as complex or as intellectually profound as are so many that form the Koran.

The sincerity with which he undertook his task, the complete faith that his followers had in his revelations and the test of centuries make it unlikely that Muhammad was guilty of any kind of deliberate deception. No deliberate"religious" concoction even of an impostor of genius has ever survived. Islam has not only survived for over thirteen hundred years, but keeps gaining new adherents from year to year. History shows not a single example of an impostor whose message was responsible for the creation of one of the world's greatest empires and of one of the noblest civilizations."

"وكانت مهمة محمد هائلة، كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية (وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتّاب الغربيين المبكرين الرسول العربي) أن يرجو النجاح في تحقيقها بمجهوده الشخصي، والزعم القائل بأن فترات تلقيه الوحي كانت في الواقع نوبات صرع، خاطىء على نحو جليّ؛ ذلك بأن من يتعرض لمثل هذه النوبات لا يمكن أن يكون مالكاً وعيه

ومنطقه إلى حد القدرة على النطق بمثل المقاطع المعقدة والعميقة من وجهة النظر الفكرية التي نقع على كثير منها في القرآن.

ان الإخلاص الذي تكشف عنه محمد في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من ايمان كامل في ما أُنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد بأيما ضرب من الخداع المتعمد. ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق ((ديني)) متعمد- حتى ولو كان صاحبه دجالاً عبقرياً- استطاع أن يُعمّر طويلاً. والإسلام لم يُعمّر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمئة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب، في كل عام، أتباعاً جدداً. وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحداً على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً".

ويأتي إسهام نتائج علم مقارنة الأديان ليؤكد في حسم صواب هذا الاتجاه؛ نظراً لتضافر الدلائل العلمية والتاريخية على إثبات

صدق النبي ﷺ وإخلاصه، فيقول جوستاف مينشنج Gustav Mensching أستاذ الأديان في جامعة بون(1):

"Zweifellos konnte nach Auffassung des Mittelalters Mohammeds Anspruch, goettliche Offenbarung zu verkuendigen, nur als gottloser Betrug aufgefast und bezeichnet werden. Diese enge Auffassung kann fuer unsere Beurteilung des Propheten nicht massgebend sein. Entschieden abgelehnt werden muss auch die Meinung, Dass Mohammed selbst subjektiv nicht ehrlich gewesen sei. Das Erscheinungsbild des Propheten und dessen was wir heute ueber Inspiration wissen, laesst keinen Zweifel an der Aufrichtigkeit des Propheten zu."

" بدون شك لا يمكن فهم محمد أو تصنيفه حسب مفهوم العصور الوسطى بوصفه محتالا مارقا يدعي تلقى الوحي الإلهي، فمثل هذا الفهم الضيق يجب رفضه بكل حسم؛ وكذلك الرأي

---

(1) Gustav mensching, Mohammed, s:14. in: Berckers Kleine volksbibliothek. Verlog Butzon & Bercker, kevelaer Rhld.1950.

القائل بأن محمداً لم يكن صادقاً في نفسه. فمظهر النبي وكذلك ما نعرفه اليوم عن الوحي لا يدعان مجالاً للتشكيك في صدقية محمد ونزاهته".

ثانياً: بعض شمائل النبي ﷺ

رغم أن حياة النبي ﷺ من جانب المنصفين أو غيرهم لم تكن تنهج نهج المؤلفات التراثية في جمع مفردات شمائل النبي ﷺ وإحصائها إلا بما يخدم الجانب البحثي لديها، رغم ذلك فإن التصدي للحديث عن حياة النبي ﷺ لا مفر فيه من الإحصاء السردي لبعض شمائل الرسول ﷺ، وهذا ما نجده في نصين لدى اثنين من المنصفين، إذا ما تأملناهما خُيِّلَ إلينا أننا نطالع نصوص مؤلفين من كتّاب سيرة النبي ﷺ وجامعي مناقبة من المسلمين، وسنكتفي بهذين النصين اللذين يغطيان مساحة زمنية تشمل القديم والمعاصر.

النص الأول للبريطاني توماس كارليل Thomas Carlyle يقول[1]:

(1) Thomas Carlyle, on Heroes, pp.46-47

"But, from an early age, he had been remarked as a thoughtful man. His companions named him"Al Amin", The faithful, A man of truth and fidelity; true in what he did, in what he spoke and thought. They noted that he always meant something. A man rather taciturn in speech; silent when there was nothing to be said; but pertinent, wise, sincere, when he did speak; always throwing light on the matter. This is the only sort of speech worth speaking! Through life we find him to have been regarded as an altogether solid, brotherly, genuine man. A serious, sincere character, yet amiable, cordial, companionable, jocose even;- a good laugh in him withal; there are men whose laugh is as untrue as anything about them; who cannot laugh. One hears of Mahomet's beauty: his fine sagacious honest face, brown florid complexion, beaming black eyes;- I somehow like too that vein on the brow which swelled up black, when he was in anger: like the"

horse-shoe vein" in Scott's redgauntlet. It was a kind of feature in the Hashem family, this black swelling vein in the brow; Mahomet had it prominent, as would appear. A spontaneous, passionate, yet just, true meaning man! Full of wild faculty, fire and light; of wild worth, all uncultured; working out his life-task in the depths of the Desert there.

How he was placed with Kadijah, a rich widow, as her steward, and traveled in her business, again to the Fairs of Syria; how he managed all, as one can well understand, with fidelity, adroitness; how her gratitude, her regard for him grew, the story of their marriage is altogether a graceful intelligible one, as told us by the Arab authors. He was twenty-five, she forty, though still beautiful. He seems to have lived in a most affectionate peaceable, wholesome way with this wedded benefactress; loving her truly, and her alone. It goes greatly against the impostor-theory, the fact that he lived in this entirely unexceptionable, entirely

quiet and commonplace way, till the heat of his years was done. He was forty before he talked of any mission from Heaven.

وقد لوحظ عليه منذ بكارة سنه انه كان شاباً مفكراً ، وقد سمّاه رفقاؤه الأمين - رجل الصدق والوفاء - الصدوق في أفعاله وأفكاره، وقد لاحظوا أن ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة.

وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت، ويسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لُبّ وفضل وإخلاص وحكمة ، لا يتناول غرضا فيتركه إلا وقد أنار شبهته وكشف ظلمته وأبان حجته واستثار دفينته، وهكذا يكون الكلام وإلا فلا.

وقد رأيناه طول حياته رجلا راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريما برا رؤوفا تقيا فاضلا حرا رجلا شديد الجد مخلصا ، وهو مع ذلك سهل الجانب، لين العريكة ، جمّ البشر والطلاقة ، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق، لأن من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأحواله ،

وهؤلاء لا يستطيعون أن يبتسموا ، وكان محمد جميل الوجه ، وضي الطلعة ، حسن القامة ، زاهى اللون، له عينان سوداوان تتلألآن، وإنى لأحب في جبينه ذلك العرق الذى كان ينتفخ ويسود في حال غضبه(كالعرق المقوس الوارد في قصة القفازة الحمراء لوالترسكوت) وكان هذا العرق خصيصة في بنى هاشم، ولكنه كان أبين في محمد وأظهر.

نعم لقد كان هذا الرجل حاد الطبع نارى المزاج ولكنه كان عادلا صادق النية ، كان ذكى اللب شهم الفؤاد ممتلئا ناراً ونورا ، رجلا ، عظيما بفطرته لم تثقفه مدرسة ولا هذّبه معلم، وهو غنى عن ذلك كالشوكة استغنت عن التنقيح فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء.

وما ألذَّ وما أوضح قصته مع خديجة! وكيف أنه كان أولا يسافر في تجارات لها إلى أسواق الشام، وكيف كان ينهج في ذلك أقوم مناهج الحزم والأمانة ، وكيف جعل شكرها له يزداد وحبها ينمو ولما زوجت منه كانت فى الأربعين، وكان هو لم يتجاوز الخمسة والعشرين، وكان لا يزال عليها مسحة من ملاحة ، ولقد عاش مع زوجه هذه على أتم وفاق وألفة وصفاء وغبطة يخلص لها الحب وحدها.

ومما يبطل دعوى القائلين إن محمداً لم يكن صادقا في رسالته بل كان ملفقاً مزوراً، أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة، لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوىّ، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة، ولما يك إلا بعد الأربعين أن تحدَّث برسالة سماوية.

والنص الثانى للراهبة المعاصرة كارين آرمسترونج Karen Armstrong ترصد فيه من شمائله ﷺ ما بات اليوم معياراً للرقي والتمدين الإنساني، مما تضمنته وثائق الأمم المتحدة ومواثيقها، مثل المساواة، والرفق بالحيوان، ونبذ العنصرية... الخ، تقول آرمسترونج:

"It is possible to see the egalitarian idea of Islam as a practical way of fostering brotherly love by reducing all men to the same social and political level .Just after the hijra, Muhammad is said to have introduced the practice of"brothering", whereby each Emigrant was bonded to one of the Helpers and told to regard him as a brother. It was an attempt to weld the three tribal groups into a united community, a

practical illustration of the new religious kinship which was to transcend the ties of blood. In all three religions of the monotheistic tradition the ideal of community is a supreme and sacred value. It is fundamental to both Judaism and Christianity that, where two or three are gathered together, God is in their midst and St.Paul wrote that the Christian community constituted the Body of Christ and we shall see that he umma has acquired an almost sacramental importance in Muslim piety. Muhammad was fostering the individualism that was beginning to appear in Arabia; thus the Qur'an decrees that the relatives of a dead man can punish only his murderer, not just any member of the offender's tribe, as in the old system. But the communal ideal has remained crucial too and the sense of the brotherhood of all Muslims has gone very deep in Islam.

Muhammad had based his moral system on muruwah, the old tribe humanism of the

Arabs, which was concerned with the common good, co-operation and caring for the poor and vulnerable. Muhammad's chief innovation was to extend these principles to include all Muslims, to the entire umma rather than to just the members of a single tribe. In helping his companions to cultivate a sense that all Muslims- whether they belonged to Aws, Khasraj or Quraysh-were now brothers he laid the foundations for a distinctively Islamic polity in the future. That is one of the reasons why it has been difficult for Muslims to adapt to the Western ideal of the nation state, which divides the umma up against into potentially hostile"tribes" or separate groups.

Indeed Muhammad himself set high standard of 'brothering' in his own behaviour. The man who was becoming increasingly fearsome in his enemies was deeply loved within the umma, which despite the constant danger it faced seems to have been a very happy community/Muhammad refused to put

a gulf of formality between himself and the other Muslims. He hated to be addressed with pompous, honorific titles and was often seen sitting unaffectedly on the ground of mosque, frequently choosing to sit with poorest members of the community.

Children were especially drawn to him. He was for ever picking them up and hugging and kissing them. When he had been away on as expedition, it was customary for the children of the umma to go out to meet him when the raiding party returned and they would lead him into the oasis in a triumphant procession. If he heard a baby crying in the mosque during Friday prayers, he nearly always bought the prayers to an end earlier than he had intended: he could not bear to think of the distress of the baby's mother.

The law formulated in the Qu'ran sound ruthless to us today, but the prophet himself was known to be lenient. One tradition recalls an occasion when Muhammad had passed

sentence on a poor man who had committed a minor crime: for his penance he was told to give alms. The man replied that he had neither food nor goods to give away. Just at that moment a large basket of dates was carried into the mosque as a gift to the prophet. 'Here you are,' Muhammad said, and told the man to distribute the dates among the poor. The criminal replied that honestly did not know anyone in the settlement who was worse off than himself. Muhammad laughed and told him that to eat the dates would be his penance.

The cultivation of kindness and compassion hand been central to the Islamic message form the beginning. The law may have seemed a blunt instrument at this period, but the process of refinement (tazaqqa) of the Muslim outlook had begun. Again, Muhammad set an example. There is a tradition that one day he saw a freedman engaged in a particularly backbreaking task. He went up to him stealthily from behind and put his hands over

his eyes, as children do. The freedman replied that it could only be the prophet who would this lighting his day with such an affectionate action.

Over the centuries in the west, we have tended to think of Muhammad as a grim figure, a cruel warrior and a callous politician. But he was a man of great kindness and sensibility. He loved animals, for example, and if he saw a cat asleep on his cloak he would not dream of disturbing it. It has been said that once of the tests of society is attitude towards animals.

All religions encourage an attitude of love and respect for the natural world, and Muhammad was trying to teach Muslims this. During the jahiliyah the Arabs had treaded animals very cruelly: they used to cut off lumps of flesh to eat while the beasts were still alive and put painful rings round the necks of camels. Muhammad forbade any painful branding or organized animal fights/one

tradition has him telling a story in which a man who gave water to a dog on a thirsty day was sent to paradise and a woman who starved her cat to death was sent to hell. The preservation of these traditions shows how important the values had become in the Muslim world and how quickly the community had advanced towards a more humane and compassionate vision.

" ويمكننا النظر إلى المثل الأعلى للمساواه في الإسلام باعتباره الوسيلة العملية لتنمية الحب الأخوي، بإخضاع جميع الناس لمستوى اجتماعي وسياسي واحد.

وقيل إن محمداً بدأ بُعيد الهجرة بتطبيق مبدأ المؤاخاة وهو المبدأ الذي ربط بين كل من المهاجرين والأنصار، وقيل لكل منهما أن يعتبر الآخر أخاً له.

وكانت تلك المحاولة لإدماج المجموعات القبلية الثلاث في مجتمع موحد، وكانت كذلك بياناً عملياً لوشائح القرابة الدينية الجديدة التى تقرر أن تتجاوز روابط الدم، ويتمتع المثل الأعلى للتواصل والترابط الاجتماعي بقيمة مقدسة عُليا في أديان التوحيد

الثلاثة، فمن الأسس الجوهرية لليهودية والمسيحية أنه ما اجتمع اثنان أو ثلاثة إلا كان الله معهم، وكتب القديس بولس يقول إن المجتمع المسيحي يمثل جسد المسيح، وسوف نرى أن مفهوم الأمة قد اكتسب أهمية تكاد تكون مقدسة في إطار البرّ الإسلامى.

كان محمد يرعى النزعة الفردية التى بدأت تظهر في بلاد العرب، وهكذا أنزل عليه في القرآن أن أقارب القتيل من حقهم عقاب قاتله فقط، لا أى فرد آخر من أفراد قبيلة الجاني، على نحو ما كان الحال عليه في النظام القديم، ولكن المثل الاجتماعي الأعلى ظل يشغل مكانته الأساسية أيضاً، وازداد ترسيخ الإحساس بأخوة جميع المسلمين وتعميقه في الإسلام.

كان محمد قد بَنَى نظامه الأخلاقى على المروءة، وهى النزعة الإنسانية القديمة لدى القبائل العربية، والتى كانت ترمى إلى تحقيق الصالح العام، وإلى التعاون، وإلى رعاية الفقراء والمستضعفين. أما أهم ما أتى به محمد فهو توسيع نطاق هذه المبادىء حتى تشمل المسلمين جميعاً، أى لتنطبق على الأمة كلها لا على أفراد قبيلة واحدة فحسب. وعندما ساعد أصحابه على تنمية الإحساس بأن جميع المسلمين- سواء كانوا من الأوس أو الخزرج أو قريش- قد أصبحوا الآن إخواناً، كان في الحقيقة

يرسى الأسس اللازمة لإقامة دولة إسلامية متميزة في المستقبل. وكان ذلك من الأسباب التى جعلت من العسير على المسلمين أن يتكيفوا مع المثال الغربى ((للدولة الأمة)) حيث تنقسم قيها الأمة في الواقع إلى ((قبائل)) أو مجموعات منفصلة يحتمل أن يعادى بعضها بعضاً.

والواقع أن محمداً نفسه قدم نموذجاً رفيعاً للتآخى (أو" المؤاخاة") في سلوكه الشخصى. فالرجل الذي كان أعداؤه يزدادون فرقاً منه ووجلاً، كان يحظى بحب عميق بين أفراد الأمة، والتى كانت، رغم الخطر الدائم الذي تواجهه، تمثل مجتمعاً ينعم بسعادة غامرة. كان محمد يرفض أن يقيم فجوة من الاعتبارات الشكلية أو الرسمية بينه وبين غيره من المسلمين، وكان يكره أن يخاطبه أحد بألقاب التشريف الطنانة، وكثيراً ما كان يشاهد وهو جالس على سجيته ودون تكلف على الأرض في المسجد، وكثيراً ما كان يختار أن يجالس أفقر أفراد المجتمع. وكان يحظى بحب الأطفال بصفة خاصة. فكان دائماً ما يحملهم بين يديه ويعانقهم ويقبلهم. وعندما كان يخرج في إحدى الغزوات، كان من عادة أطفال الأمة أن يخرجوا لاستقباله عند عودة قوة الغزو، وكانوا يسيرون أمامه في موكب النصر

حتى يصل إلى الواحة. وكان إذا سمع طفلاً يبكى في المسجد أثناء صلاة الجمعة، كان كثيراً ما يُنهى الصلاة قبل الموعد الذى كان يعتزم انتهاءها فيه، لأنه لم يكن يطيق أن يتصور الحزن الذى تكابده أم الرضيع.

وإذا كانت القوانين التى جاء بها القرآن تبدو بالغة الصرامة لنا اليوم، فقد كان المعروف عن النبي نفسه أنه رحيم ليّن الجانب، وجاء في الأثر أن محمداً حكم على رجل فقير ارتكب جنحة طفيفة بأن يتصدق ببعض ما لديه تكفيراً عن ذنبهً. ولكن الرجل أجابه بأنه لا يملك طعاماً أو بضائع حتى يتصدق بها. وفي تلك اللحظة جاءت إلى النبي في المسجد سلة كبيرة مليئة بالتمر، فقال محمد للرجل أن يأخذها ويقوم بتوزيع التمر على الفقراء. وقال المذنب إنه بصراحة لا يعرف من يزيد عنه فقراً في الحيّ. فضحك محمد وقال له إن كفارته هى أكل ذلك التمر.

كان غرس الشفقة والتراحم وتنمية الإحساس بهما من العناصر الأساسية في الرسالة الإسلامية منذ البداية، وإذا كان القانون إبان تلك الفترة سلاحاً صارماً، على مايبدو، فإن جهود التهذيب او التزكى كانت قد بدأت في الارتقاء بنظرة المسلمين إلى بعضهم البعض، وكان محمد هنا أيضا يمثل القدوة. وجاء في

الأثر أنه شاهد ذات يوم أحد الموالى وهو يقوم بعمل شاق عسير، فتسلل إليه من الخلف ووضع يديه على عيني الرجل، على نحو ما يفعل الأطفال، وأجاب المولى أنه لابد أن يكون النبي، إذ لن يفكر غيره في تخفيف عنائه بمثل هذه اللفتة الرحيمة.

لقد دأبنا في الغرب، على مر القرون، على أن نتصور محمداً في صورة الرجل الجهم، والمحارب القاسي، السياسي البارد، ولكنه كان رجلاً يتميز بأقصى درجات الشفقة ورقة المشاعر. فكان، على سبيل المثال، مُحباً للحيوان، فإذا رأى قطة نائمة على بردته تركها وكره أن يُقلقها. وقد قيل إن أحد معايير تقدم المجتمع هو موقفه من الحيوان، وجميع الأديان تحث الناس على حب العالم الطبيعي واحترامه، وكان محمد يحاول تعليم المسلمين هذا السلوك. كان العرب في الجاهلية يعاملون الحيوان معاملة بالغة القسوة، فكانوا مثلاً يقطعون قطعاً من لحمها ويأكلونها وهى ما تزال حية، ويضعون قلائد مؤلمة حول أعناق الإبل، وقد حظر محمد وصم الحيوانات وصماً يتسبب في إيلامها، وحظر تنظيم مسابقات اقتتال الحيوان، وجاء في الأثر أنه قال إن رجلاً سقى كلباً يعانى من العطش فدخل الجنة، وإن امرأة حبست قطتها فماتت جوعاً فدخلت فيها النار.

وهذه الأحاديث التى وصلت إلينا تدل على مدى الأهمية التى اكتسبتها تلك القيم في العالم الإسلامي، ومدى السرعة التى تقدم بها المجتمع نحو رؤية تتميز بمزيد من التراحم الإنساني والتعاطف والشفقة.

وربما تكون شهادة جوستاف مينشينج بأن النبي محمداً ﷺ كان" مثالاً رفيعاً وقدوة اخلاقية حسنة" هي أندر وأقيم ما يمكن أن يورد من شهادات تحمل آراء المنصفين في شمائل النبي ﷺ. يقول جوستاف مينشينج Gustave Mensching [1]

" Auch liegt seine geniale Originalitaet weniger in den einzelnen lehren, deren manche er anderen Religionen entlehnt hat, sondern in der Einheit der religioesen Konzeption, in der Originalitaet des religioesen lebens. Dass er aber charakterlich vorbildlich gewesen ist, wird man nicht ohne Einschraenkung behaupten koennen. Er neigte auf list und verstellung, und seine Sinnlichkeit entstellt das Bils des Propheten in besonderer Weise"

---

[1] Gustave Mensching, Mohammed, s: 14

" وكذلك إذا كانت أصالة عبقريته تبدو أقل ليس فقط في بعض تعاليمه التي استعارها من الديانات الأُخر وإنما في وحدة تصوراته الدينية وفي أصالة حياته الدينية. لكنه كان قدوة ومثالاً أخلاقياً رفيعاً ، ولا يستطيع أحد أن يماري في ذلك بادعاء ميله للحيلة والخداع، أو بادعاء أن الغش هو الذي نقل صورة النبي إلى تلك الحالة المميزة."

لكن من أجمل وأعذب ما قيل في شمائل محمد ﷺ ما قاله شاعر الألمان الكبير جيته Goethe ،فقد تضمنت الشذرات المتبقية من عمله التراجيدي العظيم المسمي تراجيديا محمد" - Mahomet Tragoedie ثناء ومديحاً عظيمين لم يسبق لأى غربي في أى عصر من العصور أن قدمها لنبي الإسلام.

إذ يبرز من بين هذه الشذرات قصيدة أنشأها الشاعر الكبير باسم"أنشودة محمد" التي تقول عنها البروفيسورة كاتارينا مومسن Katharina Mommsen عميدة الأدب الألماني بجامعات الولايات المتحدة الأمريكية[1]:

---

(1) Katharina Mommsen, Goethe und Die Arabische welt, S: 159-156 Erste Auflage, Insel verlag Frankfurt om main 1988

" Innerhalb der erhaltenen fragmente war es besonders das beruehmte preislied Mahomets Gesang, das des jungen Dichters Anteilname an der Gestalt Mohammeds zum Ausdruck brachte.Goethe schrieb es im Fruehjajr 1773 nieder, nachdem er alle erreichbare Literatur ueber Mohammed studiert hatte. In diesem preislied wird das wesen des Religionsstifters, eines geistigen Ffuehrers der Menschheit, dargestellt durch die Metaphor des stroms. Das Gleichnis deint zur schilderung der von kleinsten Anfaengen ausgehenden, dann ins Riesenhafte wachsenden geistigen macht, ihrer Ausweitung und Entfaltung, mit dem glorreichen Abschlub der Einmuendung in den Ozean, der heir zum symbol der Gottheit wird. Dabei liegt dem Bild vor allem die Vorstelling zugrunde: der religioese Genius nimmt die anderen Menschen seine Brueder mit , er reibt mit sich fort, wi der grobe storm die kleineren Baeche und Fluesse auf seinem wege zum Meer sich fuehrt."

" ومن بين الشذرات المتبقية، عبرت، على وجة الخصوص، قصيدة المديح الشهيرة المسماة" نشيد محمد" عن مدى الولاء الذي كان الشاعر الشاب يكنه لشخصية النبي. وكان جوته قد نظمها في ربيع عام ١٧٧٣م، أي بعد أن قام بدراسة كل ما في متناول يده من مؤلفات عن الرسول.

وتصور القصيدة النبي، بصفته هادياً للبشر، في صورة نهر يبدأ بالتدفق رفيقاً هادئاً، ثم لا يلبث أن يجيش بشكل مطرد ويتحول في عنفوانه إلى سيل عارم. وهي تصور اتساع هذا النهر وتعاظم قوته الروحية في زحفها الظافر الرائع لتصب أخيراً في المحيط، رمز الألوهية.

وتقوم هذه الصورة التي رسمها الشاعر على فكرة مفادها أن العبقري الرباني يرى الآخرين إخوة له يأخذ بأيديهم ويشدهم معه، منطلقاً بهم كالسيل العارم الذي يجرف كل ما يصادفه في طريقة من جداول وأنهار إلى البحر المحيط."

يقول الشاعر الألماني جيته Goethe رابع أعظم شعراء أوربا بعد هوميروس، ودانتي، وشكسبير، في" أنشودة محمد" التي يجعله فيها قدوة ملهمة ونموذجاً هاديا لحياة أخلاقية وروحية وفكرية أسمى.

وذلك في هيئة حوار يدور بين السيدة فاطمة بنت محمد ﷺ، وبين زوجها أمير المؤمنين على بن أبي طالب[١]:

(1) Jakob Minor, Goethes Mahomet, vortrag.Jena 1907; Friedrich Warnecke, Goethes Mahomet problem. Diss,. Halle Wittenberg 1907;
Franz Saran. Goethes Mahomet und Prometheus Halle 1914; Robert Petsch, zu Goethes Mahomet.In: Zeitschrift fuer den deutschen unterricht. 29 (1915).S. 673-693; Emil Staiger, Goethes Mahomet. In: Trivium 7(1949) S: 187-199. Emile Staiger, Goethe,Bd.I. Zuerich und Freiburg I. Br.1957.S.96 ff.
S.H Abdel Rahin, Goethe und Islam Augsburg 1969. S.60 ff

Ali

Scht den felsenquell

Freudchell,

Wie ein Sternenblick!

Fatema

Ueber Wolken

Naehrten seine Jugend

Gute Geister

Zwischen Klippen

Im Gebuesch

Ali

Juenglingsfrisch

Tanzt eraus der Wolke

Auf die Marmorfelsen nieder,

Jauchzet wieder

Nach dem Himmel.

Fatema

Durch die Gipfelgaenge
Jagt er bunten Kieseln nach

Ali

Und mit festem fuehrertritt
Reisst er seine Bruederquellen
Mit sich fort.

Fatema

Drunten werden in dem Tal
Unter seinem Fusstritt.
Blumen
Und die Wiese lebt von
Seinem Hauch

Ali

Doch ihn haelt kein schattental
keine Blumen,
die ihm seine knie' umschlingen,
ihm mit Liebesaugen schmeicheln,

nach der Ebne dringt sein

lauf

Schlangewandelnd.

Fatema

Baeche schmiegen

Sich gesellschaftlich an ihn;

Und nun tritt er in die Ebne

Silberprangend

Ali

Und die Ebne prangt mit

ihm!

Und die fluesse von der Ebne;

Fatema

Und die Baechleim von GebirGen

Jauchzen ihm, und rufen:

Beide:

Bruder!

Bruder, nimm die Brueder mit!

Fatema

Mit zu deinem alten vater
Zu dem ewgen Ozean,
Der, mit weitverbreit'ten
Armen
Unsrer wartet,
Die sich, ach! Vergebens oeffnen,
seine schnenden zu fassen.

Ali

Denn uns fribt, in oeder wueste,
Gierger Sand; die Sonne droben
saugt an unserm Blut;
ein Huegel
hemmet uns zum Teiche.
Bruder!
Nimm die Brueder von der

Ebne!

Fatema

Nimm die Brueder von Gebirgen!

Beide

Mit zu deinem vater!mit!

Ali

Kommt ihr alle!

Und nun schwillt er herrlicher:

(Ein ganz Geschlechte

Traegt den fuersten hochempor

Triumphiert durch Koenigreiche;

Gibt provinzen seinen Namen;

Staedte werden unter seinem

fuss!

Fatema

Doch ihn halten keine staedte,

Nicht der Tuerme flammengipfel,

marmorhaeuser, Monumente
seiner Guete, seiner Macht.
Ali
Zedernhaeuser traegt der Atlas
Auf den Riesenschultern;
sausend
wehen, ueber seinem Haupte,
tausend Segel auf aum
Himmel
Seine Macht und Herrlichkeit.
Und so traegt er seine Brueder.
Fatema
Seine Schaetze, seine kinder,
Beide
Dem crwartenden Erzeuger
Freudebrausend an das Herz!

علي: *انظروا إلى السيل العارم القوي، قد انحدر من الجبل الشامخ العلي، أبلج متألقاً كأنه الكوكب الدريّ*

فاطمة: *لقد أرضعته من وراء السحاب ملائكة الخير في مهده بين الصخور والأدغال.*

علي: *وإنه لينهمر من السحاب، مندفعا في عنفوان الشباب، ولا يزال في انحداره على جلاميد الصخر، يتنزى فائرا، متوثبا نحو السماء، مهلّلا تهليل الفرح.*

فاطمة: *جارفا في طريقه الحصى المجزع، والغثاء الأحوى.*

علي: *وكالقائد المقدام، الجرىء الجنان؛ الثابت الخطى، يجُّر في أثره جداول الربى والنجاد.*

فاطمة: *ويبلغ الوادي، فتتفتح الأزهار تحت أقدامه، وتحيا المروج من أنفاسه.*

علي: *لاشيء يستوقفه، لا الوادى الوارف الظليل، ولا الأزهار تلتفّ حول قدميه وتطوق رجليه، وترمقه بلحاظها الوامقة. بل هو مندفع عجلان صامد إلى الوهاد.*

فاطمة: *وهذه أنهار الوهاد تسعى إليه في سماح ومحبة، ومستسلمة له مندمجة فيه. وهذا هو يجري في الوهاد، فخورا بعبابه السلسال الفضي.*

علي: *الوهاد والنجاد كلها فخورة به.*

فاطمة: *وأنهار الوهاد، وجداول النجاد تهَّلل جميعا من الفرح متصايحة:*

علي وفاطمة *(في صوت واحد) خذنا معك !خذنا معك !*

فاطمة: *خذنا معك إلى البحر الأزلي، الذي ينتظرنا باسطا ذراعيه. لقد طال ما بسطهما ليضم أبناءه المشتاقين إليه.*

علي: *وما كان هذا الفيض كله ليبقى مقصورا على الصحراء الجرداء. ما كان هذا الفيض ليفيض في رمال الرمضاء، وتمتصه الشمس الصالبة في كبد السماء، ويصدّه الكثيب من الكثبان، فيلبث عنده غديرا راكدا من الغدران. أيها السيل، خذ معك أنهار الوهاد!*

فاطمة: *وجداول النجاد*

علي وفاطمة *(في صوت واحد): خذنا معك! خذنا معك!*

علي: *هلمَّ جميعا، هو ذا العباب يطمّ ويزخر، ويزداد عظمة على عظمة. هو ذا شعب بأسره، وعلى رأس زعيمه الأكبر، مرتفعا إلى أوج العلا، وهو في زحفه الظافر، يجوب الآفاق ويخلع أسماء على الأقطار، وتنشأ عند قدميه المدائن والأمصار.*

فاطمة: *ولكنه ماض قدما لا يلوي على شيء، لا على المدائن الزاهرة، ولا على الأرياج المشيدة، أو القباب المتوهجة الذرى، ولا على صروح المرمر، وكلها من آثار فضله.*

علي: *وعلى متن عبابه الجبار تجري منشآت السفن كالأعلام، شارعة أشرعتها الخافقة إلى السماء، شاهدة على قوته وعظمته. وهكذا يمضي السيل العظيم إلى الأمام بأبنائه.*

فاطمة: *ويمضي إلى الأمام ببناته.*

علي وفاطمة *(في صوت واحد) إلى أبيهم، ذلك البحر العظيم، الذي ينتظرهم ليضمهم إلى صدره، وهو يهلل ويكبر زاخرا بالفرح العميم.*

المبحث الثالث

تصحيح المفاهيم الغربية الخاطئة حول نبي الإسلام

"I have studied him-The wonderful man-and in my opinion far from being an Antichrist, he must be called the saviour of Humanity"

" لقد درست الرجل الفذ ، وفي رأيي أنه يجب أن يُدْعى منقذ البشرية ، فهو بعيد كل البعد من أن يدعى ضد المسيح"

جورج برنارد شو

ربما يكون من غير المألوف القول بأن جهود المنصفين في تصحيح المفاهيم الغربية الخاطئة حول نبي الإسلام لم تكن حصيلة أو ثمرة حركة التنوير الغربية ذات النزوع إلى التسامح وإزالة أحكام الماضي ورواسبه الكريهة فحسب، بل كانت على الأرجح كذلك حصيلة الميل الشخصي إلى النبي ﷺ، نتيجة للدراسات التى أجراها أولئك المنصفون فحصَّلوا بها معارف صائبة وتجلّت لهم حقائق راسخة حول نبي الإسلام ورسالته، فقادهم ذلك إلى الصدع بما استبان لهم من دلائل وبراهين حول عظمة رسول الإسلام وحول خطأ ما أثاره إخوانهم من ادعاءات ومفاهيم مغلوطة حول نبوته وأخلاقه ﷺ.

ولهذا نجدنا مرغمين على الإشارة بالأسبقية المطلقة في ذلك للشاعر الألماني جوتهGoethe، وليس للكاتب البريطاني توماس كارليل لأن كارليل Carlyle وإن كان الأشهر بمحاضرته المفصلية التي ألقاها عام ١٨٤٠م في لندن، لكن جوته كان الأسبق مرحلياً والأثقل في جهده التصحيحي لمفاهيم الغرب الخاطئة حول نبي الإسلام، لأن جوته جمع بين الدراسة العلمية للإسلام ونبيه وكتابه، وبين الدفاع النظري، وبين التوجية العملي.

فموقف جوته Goethe من نبي الإسلام بُني بناءً محكماً على أساس راسخ من الدراسة العلمية الجادة والمتأنية للإسلام، دراسة امتدت نصف قرن من الزمان. يقول جوته[(١)]:

"Ihr muesstet wie ich seit fuenfzig Jahren die Kirchengeschichte studiert haben, um zu begreifen, wie das alles zusammenhaengt... Es ist hoechst merkwuerdig, mit welchen lehren die Mohammedaner ihre Erziehung beginnen.Als Grundlage in der Religion befestigen sie ihre Jugend zunaechst in der ueberzeugung, dass dem menschen nichts begegnen koenne, als was ihm von einer alles leitenden Gottheit laengst bestimmt worden; und somit sind sie denn fuer ihr ganzes Leben ausgeruestet und beruhigt und beduerfen kaum eines weiteren."

---

(1) Houben = Johann peter Eckermann, Gespraeche mit Goethe in den letzten Jahren seines lebens.23. Originalaufl, Nach dem ersten Druck,dem Originalmanuskript des dritten Teils und Eckermanns hs. Nachlas neu. Hg.von H.H.Houben-leipzig 1948. S: 149.F

"إذا أردتم أن تفهموا هذا كله في سياقه العام، فعليكم أن تدرسوا تاريخ الأديان كما درسته أنا على مدى خمسين عاماً... إن العقائد التي يربى عليها المسلمون لتدعو لأعظم دهشة. فالعقيدة الدينية التي تقوّى بها عزائم شبابهم تقوم في أساسها على الإيمان بأنه لن يصيب الإنسان إلا ما كتبه له الله الذي يدبر كل شيء، وبهذا الإيمان يتسلحون طوال حياتهم ويعيشون مطمئنين لا يكادون يحتاجون لشيء آخر"

فهذه المعرفة العميقة الراسخة بنبي الإسلام قادته إلى موقف إيجابي امتاز بميزتين؛ أولاهما: الاستمرارية إذ صاحبه طيلة حياته، والثانية: النزوع العملي، فلم يظل موقفه الإيجابي حبيس طوايا نفسه، بل تجلّى من خلال توجيهات ودعوات عملية عبَّر عنها بوضوح في مقولته التي يعتز فيها بنسبته للإسلام. تقول كاترينا مومسن Katharina Mommsen [1]:

"Das Verhaeltnis Goethes zum Islam und zu seinem Begruender Mohammed (569-632) gehoert zu den erstaunlichsten Phaenomenen in des Dichters Leben. Es laesst sich zeigen, dass

---

(1) Katharina Mommsen, Goethe und die Arabische welt, S: 157.

er eine ganz besondere innere Anteilnahme fuer die Religion der Muslime entwickelte und dass der Koran nach der Bibel die religioese Urkunde gewesen ist, mit der Goethe am vertrautesten war. Seine Anteilnahme am Islam bekundete sich zu den verschiedensten Zeiten seines Lebens.Als 23jaehriger dichtete Goethe ein wundervolles preislied auf den propheten Mohammed, und noch der 70jaehrige Dichter bekennt in aller oeffentlichkeit, dass er sich mit dem Gedanken trage,"ehrfurchtsvoll jene heilige Nacht zu feiern, wo der Koran vollstaendig dem propheten von obenher gebracht ward" Dazwischen liegt ein langes Leben, in welchem der Dichter auf verschiedenartigste weise dem Islam seine verehrung bezeugt hat. Vor allem geschah dies in dem werk, das uns heute, neben dem faust, alseines seiner wesentlichsten dichterischen vermaechtnisse gilt, dem west-oestlichen Divan. Eine von Goethe verfasste Ankuendigung dieses werkes enthaelt sogar

den erstaunlichen Satz: der verfasser des Buches lehne"denverdacht nicht ab, dass er selbst ein Muselmann sei"

إن علاقة جوتة بالإسلام وبنبيّه محمد(٥٦٩- ٦٣٢) ظاهرة من أكثر الظواهر مدعاة للدهشة في حياة الشاعر. فكل الشواهد تدل على أنه كان في أعماق وجدانه شديد الاهتمام بالإسلام، وأن معرفته بالقرآن الكريم كانت- بعد الكتاب المقدس- أوثق من معرفته بأي كتاب من كتب الديانات الأخرى. ولم يقتصر اهتمامه بالإسلام وتعاطفه معه على مرحلة معينة من حياته، بل كان ظاهرة تميزت بها كل مراحل عمره الطويل، فقد نظم، وهو في سن الثالثة والعشرين، قصيدة رائعة أشاد فيها بالنبي محمد، وحينما بلغ السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن" يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن على النبي. وبين هاتين المرحلتين امتدت حياة طويلة أعرب الشاعر خلالها بشتى الطرق عن احترامه وإجلاله للإسلام، وهذا ما نجده قبل كل شيء في ذلك الكتاب الذي يعدُّ، إلى جانب فاوست، من أهمّ وصاياه الأدبية للأجيال، ونقصد به" الديوان الشرقي للمؤلف الغربي.

بل إن دهشتنا لتزداد عندما نقرأ العبارة التي كتبها في إعلانه عن صدور هذا الديوان وقال فيها هو نفسه" لا يكره أن يقال عنه إنه مسلم".

ويستمر جوتة في توجيهاته العملية نحو الإسلام ونبيه إلى أن يبلغ الذروة بتقريره: أن غاية ما يفعله بفكره وعمله هو محاولة اللجوء للإسلام(1):

" weiter kann ich nichts sagen, als dass ich auch hier mich im Islam zu halten suche"

"لا يسعني أن أقول أكثر من أني أحاول هنا أيضا أن ألوذ بالإسلام".

وأن أفضل نصيحة تُقَّدم لأي إنسان أن يختار الإسلام الذي يحيا فيه البشر مهما اختلفت الصور التي تقوِّي عزائمهم(2):

"Hier kann neimand dem anderen raten; beschliesse was zu tun ist jeder bei sich. Im

(1) Goethes werke (WA IV 33. 240) Hg.imauftrage der Grossherzogin sophoe von Sachsen. Abth. IV. Breife. 50 Bde,- Weimar 1887-1912.

(2) WA IV 49.87

Islam leben wir alle(!); unter welcher form wir uns auch Mut machen."

"ليس بوسع امرىء أن يقدم النصح لامرىء آخر في هذا الشأن. فليتخذ كل إنسان القرار الذي يناسبه. إننا جميعاً نحيا في الإسلام مهما اختلفت الصور التي تقوِّي بها عزائمنا".

ثم يرتقى جوته Goethe بخطابه التوجيهي ليصوّبه إلى البشرية عامة، منبّها إياها إلى أن الإسلام هو قدرها الحتمي الذي سيؤول إليه اختيارها إن حاضراً وإن مستقبلاً[1]:

"Es stimmt... . Zu Jeder religios vernuenftigen Ansicht und ist ein Islam, zu dem wir uns frueher oder spaeter alle bekennen muessen."

"يحفز على التفكير في كل الآراء الدينية الحكيمة وهذا الإسلام هو الذي سنفرُّ إليه جميعاً إن عاجلاً أو آجلاً".

ولم يكن موقف جوته Goethe في جانبيه النظرى أو العملى من نبي الإسلام – فحسب- مسألة إعجاب، أو قناعة فكرية، أو تأثيرات ثقافية، بل إنه كان موقفاً امتاز به عمن سواه في منطلقاته والأسس التي شُيِّد عليها.

---

(١) WA IV 34.50

تقول كاترينا مومسن Katharina Mommsen [1]:

"Was nun Goethe betrifft, so bestimmte sich seine stellung zum Islam- und dies ist das Entscheidende- von Anfang an nicht allein, nicht ausschliesslich aus der Haltung einer fortschrittlichen Aufklaerung mit ihren Toleranzbestrebungen und ihren Bemuehungen, fehlurteile der vergangenheit auszuraeumen. Goethe trat vielmehr zu Mohammed und seiner Religion in ein viel persoenlicheres verhaeltnis. Darum gehen auch seine Aeusserungen ueber den Islam in ihrer provokatorischen Gewagtheit weit ueber alles bisher in Deutschland Dagewesene hinaus. Ein wirklich positives verhaeltnis zum Islam gewann Goethe dadurch, dass ihm gewisse Hauptlehren als uebereinstimmend mit seinem eigenen Glauben und Denken erschienen. Das erweckte in ihm eine sehr tief begruendete

---

(1) Katharina Mommson, Goethe und die Arabische. Welt, S: 166.

Sympathie, und aus solcher Sympathie resultiert der Ton so freimuetiger Bekenntnisse, wie er heir schon aus einigen Beispielen erklang."

"فيما يخص صلة جوته الروحية بالإسلام- وهذا هو الأمر الحاسم الذي يميزه عن غيره- لم تكن حصيلة الجهود التي بذلتها حركة التنوير لنشر التسامح وإزالة أحكام الماضي الخاطئة فحسب، بل كان، على الأرجح، حصيلة المَيْل الشخصي الذي كان جوته يكنّه(للنبيّ) محمد وللإسلام، ولهذا فاقت تعبيراته وتصريحاته عن الإسلام كل ما كان قد قيل عنه في ألمانيا حتى ذلك الحين من حيث القوة والجسارة والتحدى.

ولقد توصل جوته إلى علاقته الإيجابية الحقيقية بالإسلام عن طريق اكتشافه لتطابق بعض أفكاره الرئيسية مع معتقده وتفكيره الشخصيين، مما أيقظ في نفسه التعاطف العميق معه. وقد بلغ هذا التعاطف مع الإسلام حدا جعله يدلي بالاعترافات الحرة الصادقة التي سمعنا رنينها في النبرة الحارة التي انطوت عليها الأمثلة السابقة الذكر."

ولقد تآزرت جهود المنصفين بعد جوته حول رد الادعاءات والمفاهيم المغلوطة المثارة حول النبي ﷺ في الغرب والتي تمثلت بشكل رئيس في اثنتين، وهي:

أولا : الدعوى الأولى (الشهوانية وتعدد الزوجات)

تقوم تلك الدعوى على أساس تعدد زوجاته ﷺ، ذلك الأمر الذي يجعله مختلفاً عن المسيح عليه السلام الذي كان عزباً لم يتزوج مما أوجد مفارقة كبرى في العقل الغربي بين مؤسسي ديانتين أحدهما لم يقرب النساء والآخر تزوج أكثر من واحدة، مما يعني في المفهوم الغربي ميله للمتعة والشهوة الجسدية.

وقد أطلق كارليل Carlyle شارة البدء في نفي تلك التهمة عن نبي الرحمة، واضعاً إياها بدقة في مربع وإطار(الجور والظلم والعدوان)؛ لكونها تنافي أولا ما كان عليه ﷺ من زهد وتقشف في حياته عامة؛ ولكونها تنافي ثانياً ما كان جارياً متبعاً في البيئة العربية التي تحبذ كثرة الإنجاب وتأسيس القبائل كثيرة العدد؛ ولكونها تنافي ثالثاً طبائع الأمور التي تشهد بمحبة أصحابه وأتباعه وتوقيرهم له وموتهم دونه ذلك الذي لا يمكن تخيله دون يقينهم بسمو نفسه وروحه وطهارته ورقيه. يقول كارليل Carlyle:

"Much has been said and written about sensuality of Mahomet's religion; more than was just. The indulgences, criminal to us,

which he permitted, were not of his appointment; he found them practiced, unquestioned from immemorial time Arabia; what he did was to curtail them, restrict them, not on one but many sides, his religion is not an easy one; with rigorous fasts, lavations, strick complex formulas, prayers five time a day, and abstinence from wine, it did not 'succeed' by being an easy religion. 'as if indeed any religion, or cause holding of religion, could succeed by that! It is a calumny on men to say that they are roused to heroic action by ease, hope of pleasure, recompense.— sugar-plums of any kind, in this world or then next! In the meanest mortal there lies something nobler.

The poor swearing soldier, hired to be shot, has his 'honour of a soldier,' different from drill-regulations and the shilling a day. It is not a taste sweet things, but to do noble and true things, and vindicate himself under God's heaven as a gold-made man, that the poorest

son of Adam dimly longs. Shew him the way of doing that, the dullest day drudge kindles into a hero. They wrong man greatly who say he is to be seduced by case. Difficulty, abnegation, martyrdom, death are the allurements that act on the heart of man. Kindle the inner genial life of him؛ you have a flame that burns up all lower considerations. Not happiness, but something higher: one sees this even in the frivolous classes, with their. 'Point of honour' and the like. Not by flattering our appetites; no, by awakening the heroic that sumblers in every heart, can any religion gain followers.

Mahomet himself, after all that can be said about him, was not a sensual man. We shall err widely if we consider this man as a common voluptuary, intent mainly on base enjoyments, --nay on enjoyments of any kind. His household was of the frugalest; his common diet barley-bread and water: sometimes for months there was not a fire once lighted on his hearth. They record with just pride that he would mend his

own shoes, patch his own cloak. A poor, hard-toiling, ill-provided man; careless of what vulgar men toil for. Not a bad man, I should say; some thing better in him than hunger of any sort.— or these wild Arab men, fighting and jostling three and twenty years at his hand, in close contact with him always, would not have reverenced him so! They were wild men, bursting ever and anon into quarrel, into all kinds of fierce sincerity; without right worth and manhood, no man could have commanded them. They called him prophet, you say? Why, he stood there face to face with them; bare, not enshrined in any mystery; visibly clouting his own cloak, cobbling his shoes; fighting, counseling, ordering in the midst of them: they must have seen what kind of a man he was, let him be called what you like! No emperor with tiaras was obeyed as this man in a cloak of his clouting. During three and twenty years of rough actual trail. I find something of a veritable hero necessary for that, of it self.

قيل وكتب كثيراً في شهوانية الدين الإسلامي، وأرى كل ما قيل وكتب جوراً وظلماً، فإن الذي أباحه محمد مما تحرمه المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه، وإنما كان جارياً متبعاً لدى العرب من قديم الأزل، وقد قلّل محمد هذه الأشياء جهده وجعل عليها من الحدود ما كان في إمكانه أن يجعل، والدين المحمدي بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهيّن وكيف ومعه كل ما تعلمون من الصوم والوضوء والقواعد الصعبة الشديدة وإقامة الصلاة خمساً في اليوم والحرمان من الخمر وليس كما يزعمون.

كان نجاح الإسلام وقبول الناس إياه لسهولته لأنه من أفحش الطعن على بني آدم والقدح في أعراضهم أن يُتّهموا بأن الباعث لهم على محاولة الجلائل واتيان الجسائم هو طلب الراحة واللذة- (التماس الحلو من كل صنف في الدنيا والآخرة) ! كلا فإن أحسن الآدميين لا يخلو من شيء من العظمة والجلال فالجندى الجاهل الجلف الذي يؤجّر يمينه وروحه في الحروب بأجر بخس له مع ذلك" شرف" يحلف به فتراه لا يبرح يقول: لأفعلنّ ذلك وشرفى.

وليست أمنية أحقر الآدميين هى أن يأكل الحلوى بل أن يأتى عملا شريفاً وفعلاً محموداً ويثبت للناس أنه رجل فاضل كريم. ليعمد أيكم إلى أبلد إنسان فيريه سبيل المكرمات والمحامد،

فإذا هو قد تأجَّج قلبه حماساً واتقَّدت نفسُه غيرة وصار في الحال بطلا ، وما أظلم الذين يتهمون الإنسان بقولهم إنه ميَّال بفطرته إلى الراحة وأنه يُستْهوى بالترف ويُستْغوى باللذة إنما مغريات الإنسان وجاذباته هى الأحوال والصعائب والاستشهاد والقتل أقدح ما بنفس المرء من زناد الفضل تذك ناراً تحرق سائر ما فيه من الخسائس والنقائص، وما كان قط إعتناق الناس لدين من الأديان لما يرجون من متاع ولذة بل لما يثور في قلوبهم من دواعى الشرف والعظمة.

وما كان محمد أخا شهوات برغم ما أُتهم به ظلماً وعدواناً ، وشدَّ ما نجور ونخطىء إذا حسبناه رجلا شهوياً لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه وماكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار ، وأنهم ليذكرون- ونعم ما يذكرون- أنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟.

فحبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام مجتهد في الله قائم النهار ساهر الليل دئباً في نشر دين الله غير طامح إلى ما

يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان غير متطلع إلى ذكر أو شهوة كيفما كانت.

رجل عظيم وربكم، والا فما كان ملاقياً من اولئك العرب الغلاظ توقيراً واحتراماً وإكباراً وإعظاماً، وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته ثلاثاً وعشرين عاماً وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله. لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة وبادرة وعجرفة وكانوا حماة الأنوف أباة الضيم وعر المقادة صعاب الشكيمة فمن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا، فذلكم وأيم الله بطل كبير، ولولا ما أبصروا فيه من أيات النبل والفضل لما خضعوا له ولا أذعنوا، وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه !؟ وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيباً من طاعتهم مقدار ما ناله محمد في ثوبه المرقع بيده فكذلك تكون العظمة وهكذا تكون الأبطال !.

وإذا كان كارليل قد ألقي بكل عنفوانه صخرة راسية في الفكر الغربي تهدم كل زعم بشهوانية النبي ﷺ، فإن جهود المنصفين بعده قد سارت في طريقين:

الطريق الأول: تأكيد نفي تلك المزاعم وتدعيم وجوه إبطالها

فيجعل ول ديورانت Will Durant تعدد زوجات النبي ﷺ واجباً أخلاقياً يواجه به البشر في العصور الوسطى نسبة تعدد الوفيات في الذكور، كما أنه كان نوعاً من البرّ النبوي والرحمة بالأرامل أو الأصدقاء يقول ديورانت :[1]Durant:

"His ten wives and two concubines have been a source of marvel, merriment, and envy to the western world. We must continually remind ourselves that the high death rate of the male among the ancient and early medieval Semites lent to polygamy, in Semitic eyes, the aspect of obligation necessity, almost a moral obligation. Mohammad took polygamy for granted, and indulged himself in marriage with a clear conscience and no morbid sensuality. Aisha, in a tradition of uncertain authority, quoted him as saying that the three most precious things in this world are women, fragrant odors, and prayers. Some of his

---

[1] Will Durant, the Age of Faith, P.172.

marriages were acts of kindness to the destitute widows of followers or friends, as in the case of Hafsa—to bind Omar to him—and the daughter of Abu Sufyan to win an enemy. Some may have been due to perpetually frustrated hope for son. All his wives after khadija were barren, which subjected the prophet to much raillery. Of the children borne to him by Khadija only one survived him—Fatima. Mary, a Coptic slave presented to him by the Negus of Abyssinia, rejoiced him, in the last year of his life, with a son; but Abraham died after fifteen months.

His crowded harem troubled him with quarrels. Jealousies, and demands for pin money. He refused to indulge the extravagance of his wives, but he promised them paradise; and for a time he dutifully spent a night with each of them on rotation; the master of Arabia had no apartment of his own. The alluring and vivacious Aisha, how ever, won so many attentions out of her turn that the other wives

rebelled, until the matter was settled by a special revelation:

Thou canst defer whom thou wilt of them, and receive of them whom thou wilt; and whom so ever thou desirest of those whom thou hast set aside, it is no sin for thee; that is better, that they may be comforted and not grieve, and may all be pleased with what thou givest them.

وتزوج النبي بعشر نساء وكانت له اثنتان من السراري هن مبعث الدهشة والحسد والتعليق والمدح عند الغربيين، ولكن علينا أن نذكر على الدوام أن نسبة الوفيات العالية من الذكور بين الساميين في العصر القديم وفي بداية العصور الوسطى جعلت تعدد الزوجات، في نظر هؤلاء الساميين، ضرورة حيوية تكاد تكون واجباً أخلاقياً.

وكان تعدد الزوجات في نظر النبي أمراً عادياً مسلماً به لا غبار عليه، ولذلك كان يقبل عليه وهو مرتاح الضمير لا يبغي به إشباع الشهوة الجنسية، ويروى عن عائشة حديث عن النبي

مشكوك في صحته يقول فيه" حبب إلى من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني في الصلاة".

ولقد كانت بعض زيجاته من أعمال البر والرحمة بالأرامل الفقيرات اللاتي توفي عنهن أتباعه أو أصدقاؤه، وكان بعضها زيجات دبلوماسية كزواجه بحفصة بنت عمر الذي أراد به أن يوثق صلته بأبيها، وكزواجه من ابنة أبي سفيان ليكسب بذلك صداقة عدوه القديم. وربما كان الدافع إلى بعضها أمله في أن يكون له ولد، وهو أمل حُرم منه زمناً طويلاً. وكانت زوجاته كلهن ما عدا خديجة غير ولودات، وكان هذا موضع السخرية بين أعدائه، ولم يبق من أبنائه الذين رزقهم من خديجة إلا فاطمة. وقد رُزق من مارية القبطية التي أهداها إليه نجاشي الحبشة، بولد اغتبط النبي بمولده أشد الاغتباط، ولكن إبراهيم مات بعد خمسة عشر شهراً من مولده.

وكثيراً ما ضايقه نساؤه بمنازعتهن، وغيرتهن، ومطالبهن، ولكنه أَبَى أن يجيبهن إلى مطالبهن الكثيرة، ووعدهن بالجنة، وقضى بعض الوقت يعدل بينهن فيقضي ليلة عند كل واحدة منهن، ذلك أن سيد بلاد العرب كلها لم يكن يملك بيتاً خاصاً له، غير أن عائشة قد استاثرت بالقسط الأكبر من عنايته،

فغضبت لذلك زوجاته الأخريات حتى نزلت الآية: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ **(الأحزاب: الآية ٥١).**

ويذهب رودي بارت Rudi Paret في طريق آخر عندما ينعي على الغربيين محاكمة النبي ﷺ وفق مقاييسهم هم، وليس وفق مقاييس عصره وأمته التي تجعل من التعدد أمراً معتاداً، ليس ذلك فقط بل إن مقاييس عصره وظروفها جعلت من عدم التعدد بالنسبة للنبي ﷺ هو المشكلة وليس العكس. يقول رودي بارت Rudi Paret[1]:

Im Abendland hat man jahrhundertelang bis in die neueste Zeit immer wieder daran Anstoss geonommen, dass der prophet nach der Higra von der Einshe zur Vielehe uebergegangen ist und im lauf der Zeit mit insgesamt 13 Frauen in ehelicher Gemeinschaft gelebt hat. Im besonderen wirft man ihm in

---

(1) Rudi Paret, Mohammed und der Koran, S: 142-144

dieser Hinsicht zweierlei vor: erstens, dass derZainab, die schoene Frau seines Adoptivsohnes Zuliebe- sich von ihr geschieden dieser- anscheinend ihm zuliebe- sich von ihr geschieden hatte; zweitens, daB er den kreis der zur Heirat erlaubten frauen fuer seine person weiter als fuer uebrigen Glaeubigen gezogen und ueber dieses sein Sonderrecht sogar eine eigene Offenbarung verkuendet hat.

Die bliosse Tatsache, dass Mohammed in Medina nicht mehr wie in Mekka monogamisch gelebt hat, kann ihm nun allerdings nicht gut zum Vorwurf gemacht werden, es sei denn, man legt einen Massstab an ihn an, der historisch nicht vertretbar ist. Der prophet gehoerte einem Milieu an, in dem die Polygamie, genauer gesagt die Polygynie, die Mehrfrauenehe, gang und gaebe war. Wenn er vor der Higra mit Hadiga die Einehe aufrecht erhalten hat, so lag das vor allem daran, dass diese seine erste Frau ihm von

Haus aus wirtschaftlich ueberlegen war und daher auch im ehelichen Zusammenleben eine Sonderstellung beanspruchen konnte. Nach ihrem Tod brauchte er sich in dieser Hinsicht keine Zurueckhaltung mehr aufzuerlegen, zumal keine der Frauen, die spaeter in seinen Gesichtskreis traten und fuer eine Ehelichung ueberhaupt in Frage kamen, mit der verstorbenen auch nur einigermassen vergleichbar war.Nachdem er in Medina erst einmal festen Boden unter den fuessen gewonnen hatte, wurde der uebergabg zur polygynie fast zur Selbstverstaebdlichkeit. Man koennte sogar sagen, dass eres seiner Stellung schulding war, mehr alseine Frau in seinem Haus zu haben. Im uebrigen ist zu bedenken, dass einige der von ihm eingegangenen Ehen gleichzeitig der versorgung von Frauen dienten, deren Maenner in den Schlachten von Badr und am Uhud gefallen waren, und daB ,bei seinen Heiraten oft auch politische Ueberlegingen mit im Spiel waren.

Die frage, wie der prophet dauz kam, in Heirgatsangelegen heite fuer seine person gewisse sonderrechte in Anspruch zu nehmen. Ist damit freilich noch nicht beantwortet. Tatsaechlich hat er sich nur bis zum Jahr 625 auf vier legitime Ehefrauen beschraenkt, eine zahl, die nach der ueblichen Auslegung von sure 4,3 dem einzelnen Glaeubigen als HoechstmaB zugestanden war. Im jahr 626 nahm er sich eine fuenfte frau(sie starb allerdings bald nach der Hochzeit und wird deshalb heir nicht weiter mitgerechnet), 627 eine fuenfte und sechste, 628 eine siebente und achte und 629 eine neunte. In sure 33,49 f.sucht er diesen sachverhalt zu rechtfertigen.Hier warden die verschiedenen Arten von Frauen(und sklavinnen) aufgezaehlt, die ihm als Ehefrauen erlaubt sind: seine bisherigen Gattinnen; die als Kriegsbeute erworbenen sklavinnen;seine mit ihm emigrierten cousinen; schlieBlich,eine(d.h.jedwede) glaeubige frau, wenn sie sich dem propheten schenkt, und

wenn der prophet(seinerseits) sie heiraten will.(Das gilt) speziell fuer dich, unter AusschluB der Glaeubigen. Wir wissen wohl, was wir ihnen (den Glaeubigen) hinsichtlich ihrer Gattinnen und ihres Besitzes(an sklavinnen) vorgeschrieben haben.(Dies) damit du dir kein Gewissen daraus machst(wenn du darin eine Sonderstellung einnemmst). Und Gott ist vergebend und barnherzig.

Zur sache ist nicht viel zu sagen. Auf Grund der fuehrenden Stellung, die er in der Gemeinde innehatte, fuehlte Mohammed sich trotz gewisser Bedenken(vers 50) berechtigt, mit mehr als nur vier frauen gleichzeitig verheirtaet zu sein. Auch seine frauen sollten eine Sonderstellung einnehmen. Sie wurden zu"Muettern der Glaeubigen" erklaert (33,6), eine Bezeichnung, die zugleich bedeutete, dass sie nach seinem Tod keine neue Ehe mehr eingehen durften. Im uebrigen ist zu bemerken, dass die Sonderrechte, die Mohammed fuer sich in Anspruch nahm, doch auch wieder begrenzt

waren. Nur diejenigen Frauen standen ihm zusaetzlich zur Heirat frei, die sich ihm von sich aus dazu anboten. schlieBlich hat er seiner Heiratsfreudigkeit sogar selber einen Riegel vorgeschoben, indem er die folgende offenbarung verkuendete:" kuenftig sind dir weder(weitere) frauen(zu Ehe) erlaubt, noch(ist es dir erlaubt) Gattinnen (die du schon hast) gegen sie auszutauschen, auch wenn dir ihre schoenheit gefallen sollte. Ausgenommen dein Besitz (an sklavinnen) (33,52). Es ist anzunehmen, dass diese verkuendigung nach seiner letzten Heirat, der vom Marz 629, erfolgt ist. Der prophet war damals etwa 60 Jahre alt. gegenueber den Reizen weiblicher Schoenheit war er-das entnehmen wir dem wortlaut-immer noch aufgeschlossen. Er mag sogar mit dem Gedanken gespielt haben, die eine oder andere seiner gealterten Gattinnen gegen eine junge frau einzutauschen, hat dann aber endgueltig auf eine solche Moeglichkeit verzichtet. Die offenheit, mit der hier in einem

heiligen Text ueber dises Dinge gesprochen wird, wirkt verbluefend und zugleich entwaffnend. Sie bricht jeder weiteren kritik die Spitze ab.

Der Fall von Mohammeds Heirat mit Zainab liegt nicht ganz so einfach, wie es auf den ersten Blick den Anschein hat. Fest steht, dass der prophet die frau seines Adoptivsohnes Zaid diesem sozusagen weggeheiratet hat. Er sah sie eines Tages in Zaids Wohnung im blossen Untergewand und war gleich ganz begeistert von ihr. Als Zaid durch Zainab davon hoerte, erbot er sich sofort, sie ihm abzutreten. Die Geschichte endet damit, dass Zaid tatsaechlich auf sie verzichtete, worauf Mohammed sie sich selber zur frau nahm. Zur Entlastung des propheten ist allerdings anzufuehren, dass Zainab ehedem gegen ihren Willen mit Zaid verheiratet worden war, dass sie ihn nach dem besagten Zwischenfall erst recht ablehnte, und dass Mohammed seinerseits das Angebot Zaids zuerst nicht annehmen

wollte, diesen vielmehr ausdrueklich aufforderte, Zainab zu behalten. In Sure 33,37 kommt die ganze Angelegenheit zur Sprache. Die stelle lautet:"Und(damals) als du zu demjenigen, der von Gott und von dir" Wohltaten empfangen hatte, sagtest: Behalt deine frau fuer dich und fuerchte Gott!", und in dir verbargst, was Gott(doch) offenkundig machen wuerde, und Angst vor den Menschen hattest, waehrend du doch ehre vor Gott Angst haben solltest! Und als dann Zaid sein Geschaeft mit ihr erledigt(d.h.sich von ihr geschieden) hatte, verheirateten wir dich mit ihr (Dies) damit die Glaeubigen sich (kuenftig) hinsichtlich der frauen ihrer Adoptivsoehne kein Gewissen machen(naemlich sie zu heiraten), wenn sie (d.h.die Adoptivsoehne) ihr Geschaeft mit ihnen erledigt haben. Und was Gott anordnet, geschieht.

Gegen Schluss des verses wird Mohammeds Heirat mit der frueheren frau seines Adoptivsohnes damit gerechtfertigt, dass, die

Glaeubigen kuenftig, dem Beispiel des propheten folgend, unbedenklich frauen von Adoptivsoehnen wuerden heiraten koennen.

دأب الغربيون منذ القدم وعبر مئات السنين وإلى الزمن الحاضر، على النعْي على النبي محمدٍ أنه في حين اكتفى في مكة بزوجة واحدة، قبل الهجرة، أقبل بعد الهجرة على تعدد الزوجات حتى بلغ مجموعهنّ ثلاث عشرة امرأة. وعلى الخصوص فإنَّ المآخذ عليه تتركز في اثنتين؛ الأولى أنه عمد للزواج من زينب، زوجة متبنّاه زيد بن حارثة، والتي يبدو أنه طلّقها عندما علم أنَّ النبي يريدُها. والثانية أنه تجاوز في عدد زوجاته ما يحق للمسلم أن يتزوج به من النساء، معطياً بذلك نفسه امتيازات خاصة، سوَّغها له أيضاً القرآن (سورة الأحزاب ٣٣: ٥٠ ومابعدها)

والواقع أنَّ أحداً لا يستطيع أن يأخذ على النبي محمد أنه عدَّد زوجاته بالمدينة، فقد كانت تلك عاداتٍ عربية، ولا يمكن محاسبته على مقياس يخالف مقياس بيئته. فقد عاش النبي- كما سبق القول- في مجتمع كان تعدد الزوجات فيه أمراً عادياً جداً. وإذا كان قد اقتصر على زوجة واحدةٍ مع خديجة، فإنَّ وضع خديجة كان خاصاً، وكانت هى المموّل من الناحية

الاقتصادية، وهذا فضلاً عن المنزلة الخاصة التي كانت خديجة تتمتع بها لديه، وبعد وفاتها ما عاد النبي مضطراً للاقتصار على زوجة واحدةٍ؛ لأنَّ كل النساء اللواتي كنّ في دائرته، ما كانت بينهن واحدةٌ يمكن مقارنتها بخديجة ولو من بعيد. ثم إنه بعد أن ثبّت قدميه بالمدينة، صار تعدد الزوجات أمراً متوقَّعاً وعادياً. بل والأكثر من ذلك يمكن القول إنه بسبب موقعه ومقامه كان عدمُ التعدد هو المشكلة وليس العكس.

ويبقى أنه في حالاتٍ عديدةٍ فإنه كان من أهداف زواج النبي رعاية أولئك النسوة اللواتي فقدن أزواجهنَّ في بدر وأُحُد، كما أنه كان بين زوجات النبي من تزوّجهنَّ لأسباب سياسية.

أما التساؤل عن أن النبيَّ محمداً وفي مسائل النكاح بالذات، أعطى نفسه امتيازاتٍ خاصّةً افترق بها عن المسلمين الآخرين؛ فهذه قضيةُ ما وجدت جواباً لها حتى اليوم. فحتى العام ٦٢٥م اقتصر على أربع زوجاتٍ، وهو الحدُّ الأقصى الذي يحقُّ للمسلم بحسب السورة آل عمران رقم ٣: ٤. وفي العام ٦٢٦م تزوج زوجةً خامسةً (لكنها توفيت بعد العقد مباشرةً، ولذا لا تُحسَبُ بين زوجات النبي)، وفي العام ٦٢٧م تزوج خامسةً وسادسة. وفي العام ٦٢٨م سابعةً وثامنة، وتاسعةً في العام ٦٢٩م. ونجد في السورة

الأنعام رقم ٥: ٣٣ وما بعدها، تسويغاً أو تشريعاً لذلك. ففي الآيات تعديدُ لأشكال المباحات من النساء (والجواري)، اللواتي يحللْن للنبي: زوجاته الحاليات واللواتي حَصَلَ عليهنّ بالحرب، وبنات عمّه اللواتي هاجرن معه، وأخيراً المرأة التي تَهَبُ نفسَها للنبيّ، ويقبل النبيّ أن يتزوَّجها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ ***(سورة الأحزاب ٣٣:٥٠)***

لا يمكن قول شيء يتعلق بالمضمون. فبسبب الموقع المتميّز للنبي في الجماعة، أحسَّ بأنه من حقّه، رغم بعض التحفظات (الآية ٥٠) أن يتجاوز عدد الأربع نِسوةٍ في النكاح. وقد كان لنسائه أيضاً موقعهنَّ الخاصُّ المتميّز. وقد سمّاهنّ القرآن أُمّهات المؤمنين (سورة ٣٣: ٦). وهذا وصفُ يقتضي أن لا يتزوجن بعد وفاة النبيّ.وهناك ملاحظةُ تستحقُّ الذكر، وهي أن النبيَّ أيضاً كانت

له حدود. فبعد ما تزوجه من نساء ما عاد من حقّه أن يتزوج إلا من اللواتي يعرضن أنفُسَهُنّ عليه. وبالتالي فقد حدَّد له القرآن حداً ما عاد بوُسعه تجاوُزُه: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ (سورة الأحزاب رقم ٣٣:٥٢). ومن المتوقّع أن تكونَ هذه الآية قد نزلت بعد الزواج الأخير للنبيّ في شهر مارس/أذار عام ٦٢٩م. وكان النبيّ وقتها قد بلغ الستين من العُمُر. ونفهمُ من الآية أنه كان ما يزال في ذلك العمر منفتحاً على جمال النساء. وربما فكر بفراق هذه أو تلك من نسائه الكبيرات في السنّ واستبدال أُخريات أحدث سناً بهنَّ؛ لكن القرآن منعه من ذلك. والصراحةُ التي يجري فيها الحديث عن هذا الأمر في نص مقدَّس تُثير الإعجاب والارتباك في الوقت نفسِه. وهي بذلك تحولُ دون النقد إذا استشرى أو صار حادَّاً.

أما زواج النبيّ من زينب (بنت جحش)، فليس من السهولة فهمه، كما يبدو للوهلة الأولى. وتقول الرواية إن النبيّ رأى زينب زوجة متبنّاهُ فأعجبته،وعلم بذلك زوجُها فأراد أن يطلقها لكي يتزوجها النبيّ فأبى النبيّ ذلك. وانتهى الأمر بالفعل بأن طلّق زيدُ

امرأته وتزوَّجها النبيّ. بيد أنه مما يحسب للنبيّ في هذا السياق، أنّ زينب ما كانت تريد الزواج من زيد وأنها أُرغمَت على ذلك، واستعصت على زوجها بعد أن رآها النبيّ، وأنّ زيداً أراد طلاقَها وأبى النبيّ ذلك وأمره بإمساكها. وفي السورة الأحزاب رقم ٣٣: ٣٧ تَرِدُ القصةُ كلّها: (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) (سورة الأحزاب: الآية ٣٧).

وفي آخِر الآية، يجري تسويغُ زواج النبيّ من زينب زوجة متبنّاهُ، أنه لكي لا يتحرج المؤمنون في المستقبل من الزواج بزوجات الذين يتبُونَهُم".

أما كارين آرمسترونج فتُرجع اتهام الغرب محمداً ﷺ بالشهوانية إلى الحسد والصفاقة؛ لأن النبي ﷺ كان يعيش حياة مجتمع قبلي مثل أنبياء العهد القديم ذوي العدد غير المحدود من الزوجات كداود وسليمان؛ ولأن اختياراته الزوجية ﷺ لم تكن تتحرى المفاتن الجسدية أو ريعان الشباب فجاءت أكثرهن أرامل

أو مسنات، وكان زواجه منهن لأسباب اجتماعية أو سياسية.

تقول آرمسترونج[1] :Armstrong

"Muhammad's harem of wives has excited a lot of lurid and prurient speculation in the West as well as a good deal of ill-concealed envy, as we saw in chapter 1 when I showed that Muhammad was frequently accused of lust. Later the Qu'ran decreed that a Muslim could have only four wives but Muhammad, as the prophet, was allowed many more. Few people in Arabia at that time saw monogamy as a particularly desirable norm and in later years, when Muhammad was becoming a great Arab sayyid, his large harem was a mark of his status. In a tribal society, polygamy tends to be the norm. The Bible is not at all squeamish about the sexual exploits of King David or the enormous harem of King Solomon, which makes Muhammad's look quite pathetic. Like Muhammad, they both lived at a time when

---

(1) Karen Armstrong, P. 145.

their people were making the transition from tribal to urban life. But it would be quite wrong to imagine Muhammad basking decadently in a garden of earthly delights; indeed his many wives were sometimes, as we shall see, rather a mixed blessing. We should simply notice two things. First, neither Sawdah nor Aisha was chosen for their sexual charms. Aisha was only a little girl, and at thirty Sawdah was past her first youth and was beginning to run to fat. We hear little more about her and this indicates that the marriage was more of a practical arrangement than a love-match. She could take care of Muhammad's household and she also gained in status, at least among the Muslim community, by becoming the wife of the prophet. Second, both marriages had a political dimension: Muhammad was forging important links of kinship. He still had hopes of Suhayl, who was a deeply religious man, and the marriage with Sawdah made him a relative by marriage. It

was also important to establish a closer tie with Abu Bakr: Muhammad was beginning to form an alternative kind of clan, which was not based on kinship but on ideology, yet the blood-tie was still felt to be very important.

وقد أثار موضوع زوجات النبي تأملات كثيرة في الغرب، تتسم بالبذاءة والصفاقة، وبكثير من مشاعر الحسد التى فشل الكُتّاب في إخفائها، على نحو ما رأيناه في الفصل الأول الذي بَيَّنْتُ فيه أن محمداً كثيراً ما اتهم بالميل إلى الشهوة الجسدية. وقد فرض القرآن فيما بعد ألا يزيد عدد زوجات المسلم عن أربع، ولو أن محمداً كان نبياً بأكثر من ذلك.

والواقع أن الاقتصار على زوجة واحدة لم يكن من الأعراف المستحبة في بلاد العرب إلا من جانب قلة لا تُذْكر، وبعد سنوات كثيرة عندما أصبح محمد من سادة العرب العظماء، كانت زوجاته الكثيرات من دلالات منزلته الرفيعة. ويغلب أن يكون تعدد الزوجات هو العرف السائد في المجتمع القبلي، ولا يجد الكتاب المقدس غضاضة على الإطلاق في الحديث عن الإنجازات الجنسية للملك داود، أو الزوجات اللائى لا يحصى عددهن للملك سليمان، ويعتبر عدد زوجات النبي محمد، بالقياس إلى

زوجاتهما، ضئيلاً إلى درجة كبيرة. والواقع أنهما كانا يعيشان، مثل النبي محمد، في مجتمع يمر بفترة انتقالية من الحياة القَبَليّة إلى حياة المدينة.

ولكن يخطىء من يظن أن محمداً كان ينعم بالملاذ في حديقة من المتع الدنيوية، بل إن كثرة زوجاته كانت أحياناً، على نحو ما سوف نرى، نعمة ونقمة معاً.

ويجب علينا وحسب أن نرصد أمرين؛ الأول: أن اختيار سودة أوعائشة لم يكن يستند إلى المفاتن الجسدية لأيّ منهما. فلم تكن عائشة سوى طفلة صغيرة، وكانت سودة قد بلغت الثلاثين وتخطت ربيع الشباب، بل بدأت تميل إلى السمنة. ونحن لا نكاد نسمع المزيد عنها، مما يدل على أن الزواج كان أقرب إلى لون من"الترتيبات" العملية منه إلى زواج يقوم على الحب. فكانت لازمة لرعاية أسرة محمد، وقد عَلَت منزلتها كذلك، على الأقل بين المسلمين، عندما اصبحت زوجة للنبيّ؟

والثاني:هو أن كُلاً من هاتين الزيجتين كانت لها أبعادها السياسية، إذ كان محمد يعقد أواصر قرابة ونسب ذات أهمية كبرى. فكان ما يزال يأمل أن يهدى الله سهيلاً، بسبب تدينه العميق، والزواج بسودة جعله من أصهار النبي. كما كان من

المهم توثيق العلاقة مع أبى بكر، فإذا كان محمد قد شرع في تكوين لون آخر من العشيرة، لا يستند فيه على القرابة بل على التمازج الفكرى، فإن رابطة الدم كانت ما تزال تعتبر بالغة الأهمية.

ثم ترصد آرمسترونج بعداً إنسانياً هاماً كان وراء تشريع تعدد الزوجات في الإسلام، وهو حل مشكلة الأيتام التي تفاقمت في المسلمين بعد حرب أحد".

تقول آرمسترونج [1] Armstrong:

"Muhammad's Western critics tend to see this condoning of polygamy as a piece of pure male chauvinism. Popular films like Harem give an absurd and inflated picture of the sexual life of the Muslim sheikh which reveals more about Western fantasy than it does about the reality. But, seen in context, polygamy was not designed to improve the sex life of the boys- it was a piece of social legislation. The problem of orphans had exercised Muhammad since the

(1) Karen Armstrong, p.190

beginning of his career and it had been exacerbated by the deaths at Uhud. The men who had died had left not only widows but daughters, sisters and other relatives who needed a new protector. Their new guardians might not be scrupulous about administering the property of these orphans: some might even keep these women unmarried as that they could hold on to their property. It was not unusual for a man to marry his woman wards as a way of absorbing their property into his own estate.

There was probably a shortage of men in Arabia, which left a surplus of unmarried woman who were often badly exploited. The Qu'ran is most concerned about this problem and restored to polygamy as a way of dealing with it. This would enable all the girls who had been orphans to be married, but it insisted that a man could take more than wife only if he promised to administer their property equitably.

ويميل نقاد محمد الغربيون إلى أن يروا ذلك السماح بتعدد الزوجات شوفونيه ذكورية. كما تروج الأفلام الشعبية مثل فيلم"Harem الحريم" صورة مبالغاً فيها عن الحياة الجنسية لمشايخ المسلمين، ويعكس هذا الأمر هوى الغربيين وجنوح خيالهم أكثر مما يعكس الواقع. وإذا نظرنا للأمر في سياقه، نجد أنه لم يقصد بتعدد الزوجات إباحة نوع من الممارسة الجنسية للرجال. فقد كان نوعاً من التشريع الاجتماعي. وكانت مشكلة الأيتام محل اهتمام محمد منذ بداية رسالته، ثم تفاقمت المشكلة بعد وفيات أُحُد، فلم يترك الرجال الذين استشهدوا زوجات فقط، لكنهم أيضاً تركوا بنات وأخوات وقريبات وأقرباء في حاجة لمن يكفلهم من جديد. وكان هناك احتمال ألا يكون الأوصياء الجدد على درجة كبيرة من الحرص والورع في توزيعهم وإدارتهم لممتلكات هؤلاء اليتامي. وربما عمل بعضهم على عدم تزويج بعض هؤلاء النساء من أجل ان يسيطروا على ممتلكاتهن. ولم يكن زواج الرجل من ربائبه، كوسيلة لضم ممتلكاتهن إلى ما بيده، أمراً غير معتاد.

ومن المحتمل أيضاً أنه كان هناك نقص في عدد الذكور في بلاد العرب، الأمر الذي أدى إلى وجود فائض من النساء غير

المتزوجات واللاتى كن يستغللن استغلالاً سيئاً. وقد أولى القرآن تلك المشكلة اهتماماً شديداً، ومن هنا لجأ إلى إباحة تعدد الزوجات أسلوباً لمعالجتها، وبذلك تتمكن الفتيات اللاتى تيتمن من الزواج. لكن القرآن نصَّ على أنه باستطاعة الرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة فقط إذا هو وعد بالإدارة العادلة والتوزيع العادل للممتلكات.

الطريق الثاني: تجلية موقفه من حقوق المرأة وتكريمها

لا يجد المتأمل أعجب من اتهام الغرب أتباع الإسلام ورسولهم باضطهاد المرأة، أو انتقاص حقوقها، ومثار العجب يكمن في أن الغرب قد تلقّى عبارات التكريم والاحترام والتقدير للمرأة من العرب. تقول الدكتورة زيجريد هونكه Sigrid Hunke [1]:

"Echter Diamant oder geschliffenes Glasauch diesed schmuck, der Dame des Herzens oder der Gattin Ihres chefs ergebenst zu Fuessen gelegt, ist- ohne dass wir uns dessed noch bewusst sind- Import aus dem arabischen orient.... und warden es wieder tun. So sehr

---

(1) Sigrid Hunke, Allahs sonne ueber dem Abendland, s: 275-276. Deutsche Verlags-Anstalt. Stuttgart 1960.

sind diese sprache, diese Geste, diese Haltung der Ergebenheit der fussfaelligen selbsterniedrigung des Mannes vor der anbetungswuerdigen frau uns zur zweiten Natur geworden, ob wohl sie urspruenglich nicht die unseren waren.Obwohl wir sie erst erlernt haben, ebenso wie wir Jene andere erst in einem schmerzhaften umerziehungsprozess lernen mussten.

" سواء كان هذا ماساً حقيقياً أو بلوراً فهذه الحلية التي تتحلى بها ملكة القلب أو زوج الرئيس، والتي توضع عند قدميها، هذه الحلية وتلك الباقة من الألفاظ الرقيقة مستوردة من الشرق العربي.... وإذا كَرَّرْتَ هذا الصنيع وهذه اللغة وتلك الاشارات وأنت في مواقف الاستسلام والخضوع أمام السيدة التي تهواها، فإنما تأتي بعادة ثانية مكتسبة تعلمناها من العرب وكنا قبلهم نجهلها، وقد تعلمناها منهم كما تعلمنا أشياء أُخر كثيرة تُمارس بالرغم من المتاعب والمشاق التى تتطلبها لأسباب تربوية"

ولم يقتصر الأمر على قوالب التقدير اللغوي وعبارات مجاملة المرأة بل امتد إلى حقوق المرأة وتكريمها العملي الذي رسّخه النبي محمد ﷺ.

يقول كارل إيرنست Carl Ernst عازياً اتهام الغرب المسلمين ونبيهم باضطهاد المرأة رغم عدم حصول المرأة الغربية على بعض الحقوق إلا عقب حصول المرأة المسلمة عليها، يقول عازياً ذلك إلى الروح الاستعمارية [1]:

"As mentioned earlier, Islamic law in theory provides resources for women, such as property rights, which were not available to European women until very recent times. Yet in practice the complex application of Islamic law was filtered through multiple levels of custom and tradition, so that ethical principles of equality between the sexes all too frequently were sacrificed for the benefit of male privilege. The imposition of patriarchal authority over women is hardly unique to Islam civilization. Aristotle, it must be remembered, regarded

---

(1) Carl Ernst, Muhammad, pp. 143-144

woman as natural slaves. Despite statements about gender equality in the New Testament, there are also strong traditions that for centuries have excluded women from positions of authority in Christian churches. Misogyny and the assertion of men's authority over women is, in fact, characteristic of the history of much of the world, including China and India. Disentangling the roles of the ethics of gender and patriarchal history is a task that now is being undertaken in every culture, even when it does not bear the name of feminism.

What makes the discussion of gender relations in Islamic culture especially tricky is, once again, the effects of European colonialism. By the late nineteenth century, European had developed a number of arguments to demonstrate the cultural inferiority of the nations of the Orient, principally Muslim countries. As mentioned previously, the scientific language of racial categories and the alleged evolutionary superiority of Europeans

were key elements in the ideology of colonial ascendancy. A new and surprising weapon in the colonialist's arsenal was the language of European feminism. However uncomfortable Victorian officials may have been with feminist agitation for equal rights at home, they eagerly and hypocritically criticized Asian and especially Muslim men for their bad treatment of women (although some colonial administrators, such as Lord Cromer and Lord Curzon, were active opponents of the British suffragette movement). By maintaining that Islam was essentially oppressive to women and by linking Muslim backwardness to the practice of veiling women, colonial administrators could justify their rule over Asia and Africa, since they were the bearers of enlightening modernity. At the same time, they maintained that Muslims could only become civilized if they abandoned veiling-that is, if they abandon what were believed to be essential practices of Islam. The same rhetoric

of condescending shock about the veiling of Muslim women continues to be applied today, despite less than perfect gender equity in Europe and America.

When we look, however, at the authoritative Islamic scripture, we can see prominent resources for an ethic of gender equality. In Christian and Jewish circles, it is only in relatively recent years that the gendered language of the Bible has become as issue, leading to new translations that do not automatically assume the male gender as normal. Yet gender-specific language had clearly become a concern in the early Muslim community. A number of women approached the prophet Muhammad to ask him about the prevalence of male pronouns in the Qu'ran, wanting to know if women were included in these statements. The next revelations of the Qu'ran responded directly to these concerns, with an extended series of balanced phrases

that make it clear that men and women share equally in the religious life:

For the submitting men and submitting women,

for the believing men and believing women,

for the devout men and devout women,

for the sincere men and sincere women,

for the patient men and patient women,

for the humble men and humble women,

for the men and women who give alms,

for the men and women who fast,

for the men and women who guard their chastity,

for the men and women who remember God much for them God has prepared forgiveness and a great reward (33.35)

كما هو مذكور آنفا، تقوم الشريعة الإسلامية نظرياً بتوفير جملة من الذرائع من أجل النساء، كمثل حقوق الملكية التي لم

تكن متوفرة للنساء الأوربيات حتى عصور حديثة جداً. إلا أنه في الواقع تمّت غربلة التطبيق المعقّد للشريعة الإسلامية عبر مستويات متعددة من العرف والتقليد، بحيث كان يضحّى في كثير من الأحيان بالمبادىء الأخلاقية للمساواة بين الجنسين من أجل منح الامتياز للذكر.

ومن الصعب القول بأن فرض لسلطة البطريركية على النساء مقتصر على الحضارة الإسلامية، فلابد من تذكّر أن أرسطو قد اعتبر أن النساء جاريات في طبيعتهن. وعلى الرغم من التصريحات حول مساواة الجنسين في الإنجيل، إلا أنه يوجد كذلك تعاليم صارمة عملت ولقرون من الزمان على استثناء النساء من مناصب السلطة في الكنائس المسيحية. فالتحيز ضد النساء والتأكيد على سلطة الرجال عليهنّ هي في الواقع صفات اتّسم بها تاريخ معظم العالم، بما في ذلك الصين والهند، لذا فإن عملية فكّ العقد التى تشبك بين دور الأخلاق عند الجنسين وبين التاريخ البطرياركي هي مهمة تلتزم بها الآن جميع الثقافات، حتى وإن كانت لا تحمل شعار المساواة بين الجنسين.

إن ما يجعل النقاش حول علاقات الجندر في الثقافات الإسلامية موضوعا دقيقا يتطلب الحذر هي- مرة أخرى- آثار

الكولونيالية الأوربية. فمع نهاية القرن التاسع عشر طوّر الأوروبيون عددا من الحجج والبراهين لإثبات الدّنو الثقافي عند أمم الشرق، وبشكل رئيسي عند الدول الإسلامية. وكما ذكر سابقا، كانت اللغة العلمية للجماعات العنصرية بالإضافة إلى التفوق التطوّري المزعوم عند الأوروبيين قد مثلت العناصر الرئيسية في إيديولوجية الهيمنة الاستعمارية. إلا أنه كان هنالك سلاح جديد ومدهش في مستودع أسلحة الاستعماريين وهو لغة النظرية الأوروبية في المساواة بين الجنسين (European Feminism).

ومهما يكن حجم عدم الارتياح الذي كان يشعر به موظفو الدولة في العصر الفيكتوري جراء الاهتياج المطالب بالمساواة بين الجنسين من أجل حقوق متكافئة في البيت؛ فقد انتقدوا بتحمس ونفاق الرجال الآسيويين وخاصة المسلمين بسبب معاملتهم السيئة للنساء(بالرغم من أن بعض الإداريين الكولونياليين مثل اللورد كرومر واللورد كيرزون، كانوا خصوما فعّالين ضد الحركة البريطانية المنادية بمنح المرأة حق الاقتراع).

فبادّعاء أن الإسلام كان في الأساس مضطهدا للنساء ويربط التخلف الحضاري عند المسلمين بممارسة ارتداء الحجاب عند

النساء، كان بإمكان الإداريين الكولونياليين تبرير سيطرتهم على آسيا وإفريقيا، وذلك لكونهم الحاملين للعصرية النيّرة. وفي نفس الوقت، ادّعوا أن بإمكان المسلمين أن يصبحوا متحضرين فقط إذا تركوا ارتداء الحجاب؛ أي إذا تخلوا عمّا يُعتقد بأنه عبادة جوهرية في الإسلام. إن اللغة ذاتها المعبّر عنها بصدمة الشعور بالتفوق حول ارتداء المرأة المسلمة الحجاب تواصل أخذ مجراها اليوم، بالرغم من المساواة الأقل من المثالية بين الجنسين الموجودة في أوروبا وأميركا.

ومن ناحية ثانية، عندما ننظر إلى النصوص الشرعية في الإسلام فباستطاعتنا أن نرى مصادر واضحة لأخلاق المساواة بين الجنسين. أما في الحلقات المسيحية واليهودية، فلم يكن ذلك إلا في السنوات الأخيرة تقريباً حين أصبحت لغة الجندر في الإنجيل موضوع نقاش، مما أسفر عن ترجمات جديدة لا تقوم تلقائيا بافتراض الجنس المذكّر كجنس عادي. ومع ذلك أصبحت لغة الجندر الخاصة موضع اهتمام واضح في المجتمع الإسلامي المبكر، فقد قدم عدد من النساء إلى النبي محمد ﷺ كي يسألنه عن ضمائر المذكر الغالبة على القرآن، يردن معرفة فيما إذا كانت النساء مشمولات في هذه العبارات. فنزل وحي القرآن

بعدها مستجيبا بشكل مباشر على هذه الاستفسارات، حيث جاءت الإجابة على شكل سلسلة ممتدة من الآيات الموزونة التي توضح أن الرجال والنساء متساوون في الحياة الدينية" :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ***(الأحزاب: ٣٥)".***

فالنبي ﷺ قد أولى مسألة إصلاح أوضاع المرأة في البيئة القبلية التي بعث فيها عناية خاصة، وكان ذلك في مسارين:

المسار الأول: حسن معاملة المرأة

فقد أرسى النبي دعائم الأمر بإحسان معاملة المرأة في وصيته المشهورة: استوصوا بالنساء حيراً وهذا ما رصده المنصفون.

يقول درمنغم Dermenghem [(1)]:

(1) Emile Dermenghem, the life of Mahomet, p. 259

"Indisputably, Mahomet's preaching brought about a great progress in Arabian life as regards both the family and hygiene. Woman's status, as we shall see, was greatly improved. Prostitution, temporary marriage and free love were forbidden as well as the forcing of captives into prostitution to enrich their masters.

مما لا شك فيه أنه كان للدعوة المحمدية أثر عظيم في تقدم الأسرة والمجتمع والصحة، فقد ارتقى بأحوال المرأة، فحرَّم البغاء بها وكذلك حياة الغرام والمتعة اللاهية، ومنع إكراه الإماء على البغاء للأجل إثراء سادتهن.

ويجمع البروفيسور جوستاف مينشنج Gustave Mensching بين أمر النبي ﷺ المسلمين بحسن عشرة النساء وإحسان معاملتهن، وبين إرساء منظومة الحقوق التي كفلها ﷺ للمرأة مما سوف نتوقف أمامه لاحقاً.

يقول مينشنج Mensching [1]:

" Tatsaechlich suchte Mohammed sogar der in seiner Umwelt herrschenden masslosen Freiheit auf sexuellem Gebiet zu steuern und die Stellung der Frau zu bessern, indem er z.B. das Erbrecht gesetzlich festlegte. Das der Frau frueher nur gelegentlich zuerkannt wurde.Auch befahl er, man solle die Frau mit Guete, Freundlichkeit und Gerechtigkeit behandeln."

سعى محمد ﷺ في الحقيقة إلى القضاء على الفوضى الجنسية السائدة في بيئته، وكذلك ارتقى بأحوال المرأة فعلى سبيل المثال منحها حق الميراث الذي لم يكن يعترف به من قبل إلا نادراً. وكذلك أمر الرجال بمعاملة النساء بالحسنى والمودة والعدالة."

ويرصد ول ديورانت لطيفة نادراً ما يشار إليها في الغرب جعل النبي ﷺ المرأة الصالحة خير ما يكنز المرء وأن ذلك كان مناط تكريمها في القرآن والسنة. يقول ديورانت Durant[٢]:

---

(1) Gustave Mensching, Mohammed, p.15
(٢) Will Duront, The Age of Faith 4, P.181-182.

"Like other Moslems he quarreled now and then with his wives, but he did not cease to be fond of them, or to speak of women with becoming sentiment." The most valuable thing in the world," he is reported to have said," is a virtuous woman". Twice in the Koran he reminded Moslems that their mothers had carried them with pain brought them forth with pain, nursing them for twenty-four or thirty months."Paradise" he said" is at the foot of the mother."

وكان النزاع يقوم في بعض الأحيان بين النبي وبين أزواجه كما يحدث عند غيره من المسلمين، ولكنه كان على الدوام يعزهن، ويظهر لهن ولغيرهن من النساء المسلمات ما يليق بهن من عواطف طيبة. ويروى عنه أنه قال إن المرأة الصالحة أثمن شيء في العالم. ويذكر الله الناس في القرآن مرتين بأن أمهاتهم حملنهم كرهاً ووضعنهم كرهاً وأرضعنهم أربعة وعشرين أو ثلاثين شهراً ويروى عن النبي أنه قال:"الجنة تحت أقدام الأمهات".

المسار الثاني: حقوق المرأة

إذا كان اتهام الغرب نبي الإسلام بعدم حسن معاملة المرأة مثار عجبنا بسبب استيراد الغرب أساليب تكريم المرأة اللفظية والعملية من العرب المسلمين، فإن العجب يزداد عندما يثير الغرب الشكوك والمزاعم حول موقف النبي ﷺ من حقوق المرأة.

ومثار العجب الزائد هذه المرة ترجعه كارين آرمسترونج إلى موقف النبي ﷺ من حقوق المرأة الذي كان يمثل في ذلك الوقت (ثورة) غير مسبوقة في مجال منح المرأة حقوقها، نظراً للأوضاع المتردية التي كانت تعيشها المرأة، وكذلك لأن المرأة الغربية انتظرت حتى القرن التاسع عشر إلى أن نالت ما نالته المرأة المسلمة. تقول آرمسترونج Armstrong [1]:

"Western critics often blame the Qu'ran for this treatment of women, which they see as iniquitous, but in fact the emancipation of women was dear to the prophet's heart. There are complaints that the Qu'ran preaches a double standard: the laws of inheritance, for example, decree that a woman can inherit only half of what her brothers (who have to provide

[1] Karen Armstrong, Muhammad, p.191

the mahl to start a new family) will receive. Again, women are allowed to be witness is only half as valuable as that of a man. in the context of the twentieth century - when, we should remember, we are still complaining for equal rights for women - this Qu'ranic legislation does seem prohibitive. But in seventh-century Arabia it was revolutionary. We must remember what life had been like for women in the pre-Islamic period when female infanticide was the norm and when women had no rights at all. Like slaves, women were treated as an inferior species, who had no legal existence. In such a primitive world, what Muhammad achieved foe women was extra ordinary. The idea that a woman could be witness or could inherit anything at all in her own right was astonishing. We must also recall that in Christian Europe, women had to wait until nineteenth century before they had anything similar: even then, law remained heavily weighted towards men"

الإسلام أوجب أن تُعْطى المرأة المهر مباشرة. وإلى يومنا هذا يسمح للمرأة أن تفعل ما تشاء بتلك النقود، أى أنها يمكنها أن تتبرع بها، أو أن تبنى حماماً للسباحة، أو تبدأ مشروعاً تجارياً. ولا يسمح للرجل باسترداد المهر في حالة الطلاق. وهذا ضمان لأمن المرأة.

ويلوم النقاد الغربيون الطريقة التى يعالج بها القرآن شئون المرأة ويرونها غير عادلة. غير أن الحقيقة هى أن تحرير المرأة كان من الأمور المحببة إلى قلب الرسول. ويدعى النقاد الغربيون أن القرآن يكيل بمكيالين. فمثلاً، تنص قوانين الإرث على منح المرأة نصف ما يمنح لإخوانها من الرجال (والذين عليهم أن يوفروا مهوراً ليبدءوا بها أسراً جديد).كذلك يسمح للنساء بالشهادة في المنازعات القضائية لكن قيمة شهادة المرأة هى نصف قيمة شهادة الرجل. ويبدو ذلك التشريع القرآني في سياق القرن العشرين (حيث ما زلنا في الغرب نقود الحملات من أجل حقوق متساوية للنساء) كأنه يحرم النساء من حقوقهن.

غير أنه في القرن السابع كان ذلك التشريع تشريعاً ثورياً. وعلينا أن نتذكر ما كانت عليه حياة المرأة في عصور ما قبل الإسلام حيث كان وأد البنات هو القاعدة وحيث لم تكن للمرأة

أية حقوق على الإطلاق. وفي مثل ذلك العالم البدائي، فإن ما أنجزه محمد للمرأة غير عادى. فبمجرد أن يصبح للمرأة حق أداء الشهادة، وأن ترث لنفسها كامرأة أى شيء على الإطلاق هو أمر مثير للدهشة. ويجب أن تتذكر أن في أوربا المسيحية كان على النساء أن ينتظرن حتى القرن التاسع عشر حتى يحصلن على ما هو مشابه من الحقوق لأن القانون ظل في صف الرجال".

ويذهب جرونيباوم بنوعية الحقوق التي كفلها النبي محمد ﷺ للمرأة في اتجاه آخر يرسّخ قيمة منحها حق الميراث ويفعّله، إذ إنه بدون ذلك الاتجاه لم تكن هناك قيمة لمنح المرأة حق الميراث، ونعني بذلك كفالة حرية المعاملات والتصرفات المالية للنساء ذلكم الذي يضمن لها الانتفاع بحقها في الميراث وفي غيره بيعاً، وشراء، ورهنا، وقبضاً، وهبة..... الخ

يقول جوستاف جرونيباوم Gustave von Grunebaum [(1)]

"Mohammed allowed women free disposal of their property and he improved their position with regard to inheritance."

[(1)] Gustave von Grunebaum, Medieval Islam, p.174

وقد سمح محمد للنساء بحرية التصرف في أموالهن، كما أنه حسّن مركزهن من ناحية الميراث""

ثانياً: الدعوى الثانية: العنف واستخدام القوة في الدعوة

دعوى استخدام النبي ﷺ العنف والقوة في إبلاغ وتبليغ رسالته ونشرها دعوى من أقدم الدعاوى المنتشرة في الغرب، والتي رددها الغربيون منذ أقدم الكتابات الجدلية اليونانية. فالإشارة إليها واردة لدى نيكتياس البيزنطي Niketas von Byzans [1] في كتابه الجدلي ضد الإسلام:

"Widerlegung des von Araber Mohammed Geschriebenen Buches (PG.105,669 A-805D)

وقد ظلت تُردَّد في أوربا حتى العصر الحديث عندما تطورت لتصبح" الإرهاب" بدلا من العنف.

ويرفض كارليل تلك الدعوى ابتداء؛ لأن نية محمد ﷺ كانت نشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط وهكذا كانت حياته في مكة، فلما طرأ استخدام السلاح في المدينة كان يجب أن نتساءل عن الدافع الذي جرّه إلى حمل السلاح؟ وهنا تكمن المشكلة أننا تركنا المظالم التي أعاقت دعوته وحالت دون

---

(1) Carl gueterbock, der Islam in lichte der byzantinischen.polemik. Berlin 1912

وصولها للمهتدين، فكانت سببا للقتال، وعمدنا إلى الوقوف عند النتيجة وهى الاحتكام للقتال. يقول كارليل Carlyle [1]:

"Hitherto Mahomet had professed to publish his Religion by the way of preaching and persuasion alone. But now, driven foully out of his native country, since unjust men had not only given no ear to his earnest. Heaven's message, the deep cry of his Son of the Desert resolved to defend himself, like a man and Arab. If the Koreish will have it so, they shall have it. Tidings, felt to be of infinite moment to them and all men, they would not listen to these; would trample them down by sheer violence, steel and murder: well, let steel try it then! Ten years more this Mahomet had; all of fighting, of breathless impetuous toil and struggle; with what result we know.

Much has been said of Mahomet's propagating his Religion by the sword. It is no doubt far nobler what we have to boast of the

---

[1] Thomas Carlyle, on Heroes,p.p.52-53

Christian Religion, that it propagated itself peaceably in the way of preaching and conviction. Yet withal, if we take this for an argument of the truth or falsehood of a religion, there is a radical mistake in it. The sword indeed: but where will you get your sword! Every new opinion, at its starting, is precisely in a minority of one. In one man's head alone, there it dwells as yet. One man alone of the whole world believes it; there is one man against all men. That he take a sword, and try to propagate with that, will do little for him. You must first get your sword! On the whole, a thing will propagate itself as it can. We do not find, of the Christian Religion either, that it always disdained the sword, when once it had got one. Charlemagne's conversion of the Saxons was not by preaching."

وكانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط فلما وجد أن، القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية وعدم الإصغاء إلى صوت ضميره وصيحة لُبّه حتى

أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة ، عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ثم دفاع عربي ولسان حاله يقول وأما وقد أبت قريش إلا الحرب فلينظروا أي فتيان هيجاء نحن! وحقا رأى فإن أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق وشريعة الصدق وأبو إلا تماديا في ضلالهم، يستبيحون الحريم ويهتكون الحرمات ويسلبون وينهبون ويقتلون النفس التى حرم الله قتلها ويأتون كل إثم ومنكر وقد جاءهم محمد من طريق الرفق والأناه فأبوا إلا عتوا وطغيانا فليجعل الأمر إذن إلى الحسام المهند! وكذلك قضى محمد بقية عمره وهي عشر سنين أخرى في حرب وجهاد لم يسترح غمضة عين، وكانت النتيجة ما تعلمون.

ولقد قيل كثيراً في شأن نشر محمد دينه بالسيف فإذا جعل الناس ذلك دليلاً على كذبه فشد ما أخطأوا وجاروا ، فهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف ولكن ما هو الذي أوجد السيف؟ هو قوة ذلك الدين وأنه حق، والرأى الجديد أول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد، فالذي يعتقده هو فرد، فرد واحد ضد العالم اجمع فإذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضيع، وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال، أو لم تروا أن النصرانية

كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا ،وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون."

ويتعجب رود لاندو Rom Landau رمى النبي محمد ﷺ بمثل ذلك الاتهام، وهو الذي كانت مهمته: (إحلال الإنسانية محل الوحشية) قائلاً[1]:

"Muhammad's task was to break down the strong tribal system that had been responsible for almost constant warfare and to substitute on allegiance to God that cut across family ties and petty hatreds.

He had to introduce a universal law that yet could be found acceptable by the lawless Arab, and he had to impose discipline upon a society that thrived on tribal violence and blood vengeance for real or fancied wrongs. His problem was to replace humanity for cruelty, order for anarchy, and Justice for sheer might."

---

[1] Rom Landau, Islam and the Arabs,pp.23-24

" وكانت مهمة محمد هى القضاء على النظام القبلي القوي الذي كان مسئولا عن اندلاع نار الحرب على نحو موصول تقريباً بين العرب، والاستعاضة عنه بولاء لله يسمو على جميع الروابط الأسرية والأحقاد الصغيرة.

كان عليه أن يعطى الناس قانونا كليا يستطيع حتى العرب المتمردون قبوله والإذعان له وكان عليه أن يفرض الانضباط على مجتمع عاش على العنف القبلي والثأر الدموي لضروب من المظالم بعضها واقعي وبعضها متوَّهم. كان عليه أن تُحِلّ الإنسانية محل الوحشية والنظام محل الفوضى، والعدالة محل القوة الخالصة."

ولا شك أن تلك المهمة الإنسانية التي حملها محمد ﷺ على عاتقه وجهوده في تحقيقها هى التى جعلت كارليلCarlyle يلقبه بأخي الإنسانية الرؤوف الرحيم:[1]

"Traits of the kind shew us the genuine man, the brother of us all, brought visible through twelve centuries, the veritable son of our common Mother"

---

[1] Thomas Carlyle, on Heroes, p.62

فمثل محمد ﷺ أخي الإنسانية ما كان ليقاتل كما يقول درمنغم لهداية الناس بالسيف لأن القرآن حّرم الإكراه في الدين، وإنما كان يقاتل للدفاع عن الحقوق مع الاعتدال في ذلك، يقول درمنغم Dermenghem [2]:

" The theory of the holy war was not to convert people with the menace of the sword."No force in religion. The true road is sufficiently different from the false," the Koran says explicitly. The Koran lays down the rule of attacking last and always being moderate. The successive revelations, fragmentary and disordered, relate to contemporary events, to the line of conduct to be pursued by Mahomet and his disciples, as the situations present themselves. It would be improper to draw general conclusions from these injunctions, which were a mixture. Besides, material purposes perverted sometimes and religious ones. The jihad, form having been a means,

---

[2] Emile Dermenghem, the life of Mahomet,p.p.174-175

became an end, and the spiritual was sacrificed to the temporal often in scandalous fashion.

From the days of the prophet some Mussulmans saw in the holy war only the possibilities of fruitful razzias. When they encountered people in the course of an expedition, they often killed them outright without asking who they were and then claimed that they were infidels in order to exonerate themselves. The Koran vigorously condemns such practices. Although Mahomet gave blow for blow and treachery for treachery and in the heat of battle fell into an excess of ardour, he was rarely cruel in cold blood and more often showed proof pf remarkable moderation. His generosity in the days of his final triumph exhibited a greatness of soul rare indeed in the pages of history. He commanded his soldiers to spare the feeble, the old, women and children; he forbade their destroying house, making off with harvests or cutting down fruits trees... he prescribed the use of the

sword only in cases of necessity. We see him publicity condemning some of his captions and giving recompense for the damage done by them. The gaining of a single soul," he declared," is worth more than the richest conquest".

The seizing of booty was the natural outcome of all combats, with commerce and herding, formed, we might well say, the national industry of the Arabs. Mahomet tolerate it in his people"because of their weakness"; but the diving of the spoils was strictly regulated; the greater part went to charity and the upkeep of the character of his people, but he did modify it in many points. He himself was only a illiterate man, almost without culture, altogether typical of his race and his epoch, but he knew that"god's mercy was beyond measure". It would seem from all accounts that he had to battle mightily with himself to overcome a natural tendency towards vindictiveness."he who learns forgive," said

he,," comes very near to being a prophet." perhaps he suffered when he realized that he himself did not always attain to a state of perfection."

لم يُشْرَع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففي القرآن" لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" ، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبألا يبدأوا بالاعتداء، وما نجده في القرآن من الآيات المبثوثة في سُوَرٍ على غير ترتيب حول الجهاد فتشير إلى حوادث ذلك الزمن الراهنة وإلى ما كانت يجب على محمد أن يسلكه هو وأصحابه في المغازى تبعاً لتبدل الأحوال، لذلك نرى أنه ليس من الشريعة شمول تلك الآيات واستخراج مبدأ عام منها ، وذلك إلى ما كان يقع من اختلاط المصالح المادية بأمور الإيمان وَطَفْوِ تلك على هذه عند العمل في الغالب وتَحَوُّلِ الجهاد من وسيلةٍ إلى غاية والتضحية بالرُّوحيَّ من أجل الزَّمنيَّ...

وكان بعض المسلمين، منذ زمن محمد، لا يرون في الجهاد غير وسيلة لأخذ المغانم، فكانوا إذا لقوا في طريقهم إلى غزوةٍ، رجالاً قتلوهم من غير أن يتثبتوا عادّين إياهم من المشركين تسويغاً لما صُنِع بهم، فجاء القرآن ينهى عن ذلك ويدمغه بشدة، وإذا كان محمد يفرط في القسوة عند اشتباك الفريقين، وإذا

كان يقابل العدوان بالعدوان والمكر بالمكر فإنه قلما كان يقسو في حالة دَعَتِه، بل كان يبدو معتدلاً إلى الغاية كما يشهد بذلك أمره حين فتح مكة، فقد أبدى في أثناء هذا الفتح من الكرم وعظمة النفس ما لا تجد مثله في التاريخ إلا نادراً، وكان محمد يوصى جنوده بأن يرحموا الضعفاء والشيوخ والنساء والأولاد، وكان ينهى عم هدم البيوت وإهلاك الحرث وقطع مثمر الشجر، وكان يأمر بألا يَسُلَّ معلم حُسَامَه إلا عند أقصى الضرورة، وسنرى أنه أنحى باللائمة على بعض رجاله، فعوَّض بالمال مما اقترفوه، وهو الذي كان يرى أن النفس الواحدة خير من كل الغنائم.

وأخذ الغنائم نتيجة كل حرب، وهو، مع التجارة وتربية المواشى، مهنة العرب القومية، وقد أباح محمد أخذ الغنائم لأصحابه لما فيهم من ضعف، ولكنه نظم شؤونها بدقة، فجعل الكثير منها لبيت المال وتجهيز الجيش، وقد حظر عند تقسيم الأسارى فصل الأولاد عن أمهاتهم.

ومحمد، على ما لا يقدر عليه من تغيير سجايا قومه تغييراً أساسياً، استطاع أن يقومهم من عدة نواح، وهو النبي الأمى الذي كان يعلم أن رحمة الله وسعت كل شيء، وهو النبي الأمى الذي

كان يمنع نفسه من الانتقام لأن العفو أقرب للتقوى، وهو النبي الأمى الذى كان يأسف على عدم بلوغ الكمال في كل أمر على ما يحتمل.

وينفي جرونيبام Grunebaum مثل ذلك الاتهام لمحمد ﷺ؛ لأن محمداً ما كان ينفذ إلا أوامر الله، أما طبيعة محمد فكانت إيثار اللين على الشدة. يقول جرونيبام Grunebaum[1] :

"Mohammed preferred clemency to severity, but his was not a God of compromise."

كان محمد يؤثر اللين على الشدة، لكن ربه لم يكن ليقبل في الدين هوادة.

ويرى رودي بارت أن لوم النبي ﷺ على استعمال القوة ومطالبته أن يستند على عمله الدعَوَيّ فقط هو نوع من التخمينات الخيالية التي لا تقوى على البقاء على أرض التاريخ والواقع.

يقول ردوي بارت Rudi Paret [1]:

"was unsereinem bei der Betrachtung der Geschichte Mohammeds besonders missfallen

---

[1] Gustave von Grunebaum, Medieval Islam, p.79

[1] Rudi Paret, Mohammed and Der Koran, s:138-140

mag, ist die Tatsache dass,der prophet in der Auseinandersetzung mit den Unglaeubigen bald nach der Emigration nach Medina auch zu den Mitteln des Krieges gegriffen hat, und daB der Krieg um des Glaubens willen oder, wie es auf arabisch heisst,"das Sich-Abmuehen auf dem Weg Gotteds"(al-gihad fi sabil llah) an meheren stellen des Korans den Glaeubigen geradezu zur pflicht gemacht wird. Wir gehen wenn wir dies miBbilligen, von der voraussetzung aus, dass bei der Entscheidung von Glaubensfragen auf Gewaltanwendung verzichtet werden muesse, und koennen uns sogar auf den islamischen Grundsatz berufen, dass im Glauben kein zwang ausgeuebt warden duerfe. Eigentlich haette sich Mohammed, so meinen wir wohl, in seiner weiteren Missionsarbeit auf die alleinige Kraft seine Glaubens verlassen muessen, wie etwa die christlichen Einsiedler, die sich aus dem kulturland in die Syrische wueste zurueckgezogen hatten und durch ihre

vorbildliche froemmigkeit auf die in der Umgegend zeltenden Araber eine starke wirkung ausuebten, oder wie die zeitgenoessischen arabisvhen Hanifen, jene ernsten Gottsucher, die an dem heidnischen Glauben ihrer vaeter irre geworden waren und sich zu einem hoeheren Glauben durchgefunden hatten. Das sind aber mehr oder weniger muessige Spekulationen. Wie muessen auf dem Boden des historischen Sachverhalts bleiben und versuchen, die unumstoessliche Tatsache, dass Mohammed die kriegfuehrung in den Dienst seiner sache gestellt hat, irgendwie zu verstehen.

Gewiss Mohammed haette ein Hanif werden koennen. Er haette dann nicht das Odium auf sich nehmen muessen, seinen Glauben mit Waffengewalt zu propagieren. In Wirklichkeit vertrat er nun aber gerade nicht den Typus jener individualistischen Gottsucher, die nur auf ihr eigenes seelenheil aus waren.Mohammeds Groesse und Einmaligkeit

zeigt sich eben darin, dass er sich immer der menschlichen Gemeinschaft, der er angehoerte, verbunden fuehlte und auf sie einzuwirken bestrebt war. Nachden er sich selber erst einmal zur Erkenntnis der goettlichen wahrheit durchgerungen hatte, glaubte er sich verpflichtet, auch seine mekkanischen Landsleute und darueber hinaus alle Araber auf den Weg des Heils zufuehren. Als echter, kollektiv empfindender Araber blieb er den ungeschriebenen Gesetzen jener Gemeinschaft unterworfen, in die er hineingeboren war. In Mekka hat er sich als Glied seiner Sippe und seines Stammes gefuehlt. Al er durch die Higra, die"Lossagung" aus seinem natuerlichen verband ausgeschieden war, schloss er an seiner neuen Wirkungsstaette die mit ihm emigrierten mekkanischen Glaubensgenossen und die fuer den Islam gewonnenen Mediner zu einem neuen verband, dem der islamischen Umma, zusammen. Dieser hatte mit denselben Mitteln wie die arabischen staemme und

stammverbaende um seinen Bestand zu kaempfen. Raubzuege und kriegerische Unternehmungen auf kosten fremder Einheiten galten aber in dem genannten Milieu als durchaus normale Begleiterscheinungen des Daseins. Sie schienen geradezu lebensnotwendig zu sein. So ist das neugeschaffene muslimische Gemeinwesen von Medina zwangslaeufig in die Rolle einer politisch-kampferischen Machtgruppe hineingewachsen. Man wird dem propheten unter diesen Umstaenden kaum einen vorwurf daraus machen duerfen, dass er hin und wieder eine Expedition auf Raub ausgeschicket und ausserdem regelrechte kriegerische Unternehmungen durchgefuehrt hat."

وقد يزعج أحدنا عندما يتأمل تاريخ النبيّ، واقعة أن النبي في النزاع مع غير المؤمنين، وبخاصة بعد الهجرة، سرعان ما لجأ أيضاً إلى وسيلة الحرب، وأن تلك الحرب التي اتخذت اسم" الجهاد في سبيل الله" ، صارت بالنسبة للمؤمن واجباً يجب القيام به. وعندما يزعجنا اللجوء إلى الحرب؛ فلأننا ننطلق من مبدأ

الحرية الدينية، وأن أحداً لا ينبغي أن يُرغم بالقتال على اعتناق دين ما، بل إننا نستطيع أن نستعمل في ذلك ما ورد في القرآن من أنه(لا إكراه في الدين). ففي الواقع، كما يريد الكثيرون منا، كان على النبي محمد في عمله الدعوي أن يستند إلى قوة إيمانه كما فعل الرهبان والمعتزلون المسيحيون الأوائل والذين غادروا المُدُن إلى الصحراء واستطاعوا بتقواهم النموذجية أن يجتذبوا مَنْ حولهم من البدو العرب، أو أنه كان عليه أن يتبع أثر الحُنفاء، الباحثين الحقيقيين عن الله، والذين نفروا من وثنية أقوامهم، ونشدوا من طريق التأمل والآلام الوصول إلى إيمان أعلى بالربّ الأعلى.

بيد أن هذه التقديرات كلها لا تزيد عن أن تكون تخمينات خيالية. إن علينا أن نبقى على أرض التاريخ والواقع، وأن نحاول أن نفهم لماذا اضطر النبي إلى استخدام أو وضع الحرب في خدمة هدفه الديني. بالتأكيد كان النبي يستطيع أن يكون حنيفاً. ولو أنه فعل ذلك لما اضطُر إلى خوض الحرب لكي يقدر على الدعوة. لكن في الواقع ما كان النبي من ذلك الطراز من الأفراد الذين تُهمُّهم نجاتُهُم وحدهم. إذ إنّ عظمة النبي محمدٍ تكمن في أنه كان من ذلك الصنف من البشر الذي يميل إلى خدمة الناس

ومساعدتهم ، ويريد التأثير عليهم. فبعد أن امتلك الحقيقة الإلهية(النبوة) أحسَّ أنه من الواجب عليه دعوة أبناء مدينته، وكل العرب، إلى السير في طريق النجاة.

وباعتباره عربياً وجزءاً من تلك الجماعة والبيئة والتقاليد، التي نشأ فيها وعليها، ما كان بوسعه الخروج على كل شيء(واتّباع أساليب لا تؤدي إلى الهدف الذي يسعى إليه). في مكة شعر أنه عضو في عشيرته، وأحد أبناء القبيلة. وعندما اضطر من خلال الهجرة إلى"التبرؤ" من روابطه الطبيعية، عمد في بيئة تأثيره الجديدة إلى جانب أولئك الذين هاجروا معه، وأولئك الذين اعتنقوا الإسلام بالمدينة، إلى بناء جماعة جديدة هي الأمة الإسلامية. وهذه الجماعة الجديدة كان عليها لكي تحفظ وجودها أن تسلك في ذلك مسلك العشائر والقبائل العربية الأخرى. وقد كانت الغزوات والعمليات الحربية المشابهة أمراً عادياً ومتعارفاً عليه في تلك البيئات. وهي تبدو أحياناً بمثابة الضرورة للبقاء على قيد الحياة.

وهكذا كان على الجماعة الإسلامية الجديدة بالمدينة أن تنشأ وتتطور إلى جماعة تستخدم القتال أيضاً للحفاظ على نفسها. بالاستناد إلى ما قدّمناه لا يمكن أن يقع لوم على النبي لأنه

استخدم القوة، وأنه في هذا الظرف أو ذاك أرسل سريةً للغزو، أو أنه قاد حملةً عسكريةً حقيقية".

أما آرمسترونج Armstrong فترفض اتهام النبي محمد ﷺ بالإفراط في استخدام العنف والسيف في دعوته، مُبرِهنة على عدم صحة تلك الدعوى بأمرين:

أولهما: طبيعة النبي محمد ﷺ الشخصية ذات الرحمة ولين الجانب ورقة المشاعر. تقول آرمسترونج Armstrong[1]:

Over the centuries in the west, we have tended to think of Muhammad as a grim figure, a cruel warrior and a callous politician. But he was a man of great kindness and sensibility. He loved animals, for example, and if he saw a cat asleep on his cloak he would not dream of disturbing it. It has been said that one of the tests of a society is its attitude towards animals. All religions encourage an attitude of love and respect for the natural world, and Muhammad was trying to teach

---

(1) karen Armstrong ، *Muhammad*. P 230.

Muslims this. During the jahiliyah the Arabs had treated animals very cruelly: they used to cut off lumps of flesh to eat while the beasts were still alive and put painful rings round the necks of camels. Muhammad forbade any painful branding or organized animal fights/one tradition has him telling a story in which a man who starved water to a dog on a thirsty day was sent to paradise and a woman who starved her cat to death was sent to hell. The preservation of these traditions shows how important the values ad become in the Muslim world and how quickly the community had advanced towards a more humane and compassionate vision.

لقد دأبنا في الغرب، على مر القرون، على أن نتصور محمداً في صورة الرجل الجهم، والمحارب القاسي، والسياسي البارد، ولكنه كان رجلاً يتميز بأقصى درجات الشفقة ورقة المشاعر. فكان على سبيل المثال محباً للحيوان، فإذا رأى قطة نائمة على بردته تركها وكره أن يقلقها. وقد قيل إن أحد معايير تقدم المجتمع هو موقفه من الحيوان، وجميع الأديان تحث الناس على

حب العالم الطبيعي واحترامه، وكان محمد يحاول تعليم المسلمين هذا السلوك. كان العرب في الجاهلية يعاملون الحيوان معاملة بالغة القسوة، فكانوا مثلاً يقطعون قطعا من لحمها ويأكلونها وهى ما تزال حية، ويضعون قلائد مؤلمة حول أعناق الإبل. وقد حظر محمد وصم الحيوانات وصماً يتسبب في إيلامها، وحظر تنظيم مسابقات اقتتال الحيوان.وجاء في الأثر أنه قال إن رجلاً سقى كلباً يعانى من العطش فدخل الجنة، وإن امرأة حبست قطتها فماتت جوعاً فدخلت النار. وهذه الأحاديث التى وصلت إلينا تدل على مدى الأهمية التى اكتسبتها تلك القيم في العالم الإسلامي، ومدى السرعة التى تقدم بها المجتمع نحو رؤية تتميز بمزيد من التراحم الإنساني والتعاطف والشفقة.

الثاني: أن محمداً ﷺ ومعه المسلمون لم يقاتل إلا لأجل الإبقاء على حياتهم في مجتمع تعمه الفوضى الدموية والإدارية، أو لأجل إيجاد مجتمع عادل كريم يعيش وفقاً لإرادة الله ولا يُستغلّ في ظله الفقراء وغير المُحَصَّنين. تقول آرمسترونج Armstrong (1):

In the west we often imagine Muhammad as a warlord, brandishing his sword in order to

(1) karen Armstrong ، *Muhammad*. P 168.

impose Islam on a reluctant world by force of arms. The reality was quite different. Muhammad and the first Muslims were fighting for their lives and they had also undertaken a project in which violence was inevitable. No radical social and political change has ever been achieved without bloodshed, and, because Muhammad was living in a period of confusion and disintegration, peace could be achieved only by the sword. Muslims look back on their prophet's years in Medina as a Golden Age, but they were also years of sorrow, terror and bloodshed. The umma was able to put an end to the dangerous violence of Arabia only by means of a relentless effort.

The Qu'ran began to urge the Muslims of Medina to participate in a jihad. This would involve fighting and bloodshed, but the root JHD implies more than a"holy war". It signifies a physical, moral, spiritual and intellectual effort. There are plenty of Arabic

words denoting armed combat, such as harb (war) sira'a(combat), ma'araka(battle) or qital(killing), which the Qu'ran could easily have used if war had been the Muslims principal way of engaging in this effort. Instead it chooses a vaguer, richer word with a wide range of connections. The jihad is not one of the five pillars of Islam. It is not the central prop of the religion, despite the common western vies. But it was and remains a duty for Muslims to commit themselves to a struggle on all fronts-moral, spiritual and political-to create a just and decent society, where the poor and vulnerable are not exploited, in the way that God had intended man to live. Fighting and warfare might sometimes be necessary, but it was only a minor part of the whole jihad or struggle. A well-known tradition (hadith) has Muhammad say on returning from a battle,"we return from the title jihad to the greatest jihad, the more difficult and crucial effort to conquer

the forces of evil in oneself and in one's own society in all the details of daily life.

في الغرب، غالباً ما نتخيل محمداً قائد حرب ماضياً يلوح بسيفه ليفرض الإسلام على مجتمع كاره له بقوة السلاح. أما الحقيقة فكانت جد مختلفة. فقد كان محمد والمسلمون الأوائل يكافحون في سبيل الإبقاء على حياتهم، كما أنهم كانوا قد أخذوا على عاتقهم مسئولية كان العنف معها حتمياً. فلم يحدث أبداً أن أُنجز تغيير اجتماعى أو سياسى جذرى دون إسالة دماء، ولأن محمداً كان يعيش في فترة اضطراب وانحطاط، فلم يكن هناك سبيل سوى السيف لتحقيق السلام.والمسلمون ينظرون إلى سنوات محمد في المدينة على أنها عصر ذهبي. غير أنها كانت أيضاً سنوات أسى ورعب، فلم تتمكن" الأمة" من إنهاء حالة العنف والخطر في بلاد العرب إلا بجهد قاس.

وبدأ القرآن يحث مسلمي المدينة على المشاركة في الجهاد، وهذا يتطلب ضمن ما يتطلب، القتال وإسالة الدماء. غير أن جذر اللفظ" جهد" يعنى أكثر من مجرد حرب مقدسة. فهو دال على مجهود جسماني وأخلاقي وروحاني وعقلي. كما أن هناك ألفاظاً عربية كثيرة تعنى الاشتباك الحربي بالأسلحة ومنها" الحرب

والقتال والصراع والمعارك والقتل" ، وكان يمكن للقرآن استعمالها لو أن الحرب كانت هي الوسيلة الأساسية للقيام بهذا الجهد. وبدلاً من ذلك، يختار القرآن لفظاً أقل تحديداً وأكثر ثراء، ذا مجالات متشعبة في ظلال المعنى.

والجهاد ليس أحد أركان الإسلام الخمسة. وخلافاً للرأى السائد في الغرب فهو أيضاً ليس دعامة الإسلام المحورية. لكن، يظل من واجب المسلمين أن يلتزموا بالنضال على جميع الجبهات، الأخلاقية منها والسياسية والروحية من أجل خلق مجتمع عادل كريم جدير بالاحترام، يعيش فيه الإنسان وفقاً لإرادة الله، ولا يستغل في ظله الفقراء غير المحصنَّين. وقد يكون الحرب والقتال ضرورة في بعض الأحيان، لكن ذلك جزء ثانوي من الجهاد والنضال. وهناك حديث مرويّ عن محمد لدى رجوعه من إحدى المعارك حيث قال ما معناه:" لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" ، أى أن الجهد الأكثر صعوبة وحسما هو هزيمة قوى الشر في نفس الإنسان، وفي مجتمع الإنسان، في جميع تفاصيل الحياة اليومية.

فهرس الأعلام الغربية

مصادر البحث

(1) Alphonse de Lamartine, Geschichte der Turkei.1854

(2) Bosworth Smith, Mohammed and Mohammedanism, London 1946

(3) Carl Ernst, Following Muhammad, the University of North Carolina Press. Chapel Hill & London 2003

(4) Carl gueterbock, Der Islam in Lichte der byzantinischen. Polemik.Berlin 1912.

(5) Emile Dermenghem, The Life of Mahomet, George Routledge & sons.ltd. London 1930

(6) Franz Saran. Goethes Mahomet. Prometheus Halle 1914; Robert Petsch, zu Goethes Mahomet.In: Zeitschrift fuer den deutschen unterricht. 29 (1915).S. 673-693;

(7) Friedrich Warnecke, Goethes Mahomet problem. Diss,. Halle Wittenberg 1907;

(8) George Bernard Show, The Genuine Islam. Vol.1. No.8.1936.

(9) Geothe , west Oestlicher Diwan

(10) Goethes werke (WA IV 33. 240) Hg.imauftrage der Grossherzogin sophoe von Sachsen. Abth. IV. Breife. 50 Bde,- Weimar 1887-1912.

(11) Gustav mensching, Mohammed, in: Berckers Kleine volksbibliothek. Verlog Butzon & Bercker, kevelaer Rhld.1950.

(12) Gustave E. Von Grunebaum, Medieval Islam; A study in cultural Orientation, The university of chicage press. Chicago-london.1969

(13) Gustave Le Bon, La civilization des Arabes, Librairie de Firmin-Didat Et C.Paris, 1884

(14) Hans Kueng , Der Islam, piper, Muenchen- zuerich 2006

(15) Houben = Johann peter Eckermann, Gespraeche mit Goethe in den letzten Jahren seines lebens.23. Originalaufl, Nach dem ersten Druck,dem Originalmanuskript des dritten Teils und Eckermanns hs. Nachlas neu. Hg.von H.H.Houben-leipzig 1948.

(16) Jakob Minor, Goethes Mahomet, vortrag.Jena 1907;

(17) John William Draper.M.D.UD, A History of the Intellectual Development of Europe. London 1875

(18) Karen Armstrong, Muhammad A Biography of the Prophet.Victor Gollanc 7. London 1996.

(19) Katharina Mommsen, Goethe und Die Arabische welt, Erste Auflage, Insel verlag Frankfurt om main 1988

(20) Michael Hart, The 100, A Ranking of the Most influential Persons in History, citadel press Secaucus. New Jersey 1987.

(21) Montgomery Watt, Muhammad AT MECCA, Oxford AT 1953

(22) Montgomery Watt, Muhammad AT Medina, Oxford At the Clarendon Press. 1966.

(23) Rom Landau , Islam and the Arabs, George allen & unwin ltd. London1958

(24) Rudi Paret, Mohammed und der koran, , Kohlhammer verlag. Stuttgart.1957. TIME, July 15, 1974.

(25) S.H Abdel Rahin, Goethe und Islam Augsburg 1969.

(26) Sigrid Hunke, Allahs sonne ueber dem Abendland Deutsche Verlags-Anstalt. Stuttgart 1960.

(27) Thomas Carlyle, On Heroes ،Hero-Worship,& the Heroic in History. University of California Press. Loss Angeles- Oxford 1993.

(28) Voltaire, Euvres completes de Voltaire (Kehl) 1785-1789. vol.36

(29) Will Durant, The story of civilization vol:4 The Age of faith. simon and Schuster New York 1950.

فهرس الموضوعات



المؤلف في سطور

❖ **الدكتور عبدالراضي محمد عبدالمحسن رضوان**

❖ **الوظائف العلمية:**

❖ أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان المشارك بجامعتي: القاهرة. مصر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.

❖ **الدرجات العلمية:**

- ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية بترتيب الثاني على الدفعة عام ١٩٨٣م، من كلية دار العلوم. جامعة القاهرة.
- ماجستير بتقدير ممتاز من كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ١٩٩٠م في موضوع (منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في دراسة النصرانية).
- دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة بامبرج BAMBERG الألمانية ـ جامعة القاهرة عام ١٩٩٦م في موضوع (النبوة بين اليهودية والنصرانية والإسلام).

❖ الانتاج العلمي:

أولاً: الكتب:

١ - منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، القاهرة، ١٩٩٢م.
٢ - التطرف اليهودي، القاهرة، ١٩٩٠م.
٣ - الأخلاق بين النظرية والتطبيق، القاهرة، ١٩٩٧م.
٤ - نزهة الحفاظ للحافظ أبي موسى المديني (تحقيق ودراسة) بيروت، ١٩٨٦م.
٥ - نبي الإسلام بين الحقيقة والادعاء، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٦ - الغارة على القرآن الكريم، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٧ - المعتقدات الدينية لدى الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٨ - مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٩ - ماذا يريد الغرب من القرآن. مؤسسة مجلة البيان ـ الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٠ - نظرية الوجود لدى ابن حزم. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١١ - محمد صلى الله عليه وسلم في أدبيات الغرب، بالاشتراك مع الدكتور سليمان الجارالله، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة. الرياض١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٢ - الرسول الأعظم في مرآة الغرب، رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

ثانياً: البحوث:

١ - دور التربية في بناء الأخلاق الإسلامية، ١٩٩٨م.

٢ - الإسلام والنصرانية: من الجدل إلى الحوار، ١٩٩٧م.

٣ - مناهج المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم، ٢٠٠٢م.

٤ - الوحي القرآني في الفكر اللاهوتي، ٢٠٠٦م.

٥ - العلاقات الثقافية العربية الألمانية بين الحتمية العلمية والضرورة الشرعية، ٢٠٠٤م.

٦ - الشيخ علي الطنطاوي وأثره في مكة المكرمة، ٢٠٠٤م.

ثالثاً: الترجمات:

- المشاركة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية والتي صدرت عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، عام ٢٠٠١م.

رابعاً: الإصدارات باللغة الأجنبية:

– MUHAMMAD'S PROPHETHOOD: Reality or Hoax. Riyadh; International Islamic Publishing House (IIPH), 1999.
– CRISTANITY AS SEEN BY IBN TAYMIAH. Riyadh; International Islamic Publishing House (IIPH), 2000.
– MUHAMMAD'S PROPHETHOOD: Reality or Myth. Riyadh; International Islamic Publishing House (IIPH), 2006.

خامساً: المشروعات العلمية قيد الطبع والإصدار:

١ - منهج أهل السنة والجماعة في الرد على الطوائف المخالفة.
٢ - مشكلة الأسباب والمسببات في العالم الإسلامي.
٣ - الكنيسة والقرآن.
4- Die Prophetie als Basis fuer einen christlischen islamischen Dialog.

❖ المشاركة في المؤتمرات العلمية والندوات:

١ - مؤتمر الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة، بجامعة القاهرة، بورقة عنوانها: الإسلام والنصرانية من الجدل إلى الحوار، عام ١٩٩٦م.

٢ - مؤتمر الفلسفة الإسلامية وبناء الإنسان المعاصر، بجامعة القاهرة، بورقة عنوانها: دور التربية في بناء الأخلاق الإسلامية، عام ١٩٩٧م.

٣ - ندوة دور المملكة العربية السعودية في خدمة القرآن الكريم، بالمدينة المنورة، بورقة عنوانها: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، عام ٢٠٠٠م.

٤ - ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم، المدينة المنورة، بورقة عنوانها: مناهج المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم، عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٥ - ندوة ألمانيا والثقافة العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالتعاون مع السفارة الألمانية بالرياض، بورقة عنوانها: العلاقات الثقافية الألمانية العربية بين الحتمية العلمية والضرورة الشرعية، عام ٢٠٠٤م.

٦ - مؤتمر مكة عاصمة الثقافية الإسلامية، مكة المكرمة، بورقة عنوانها: الشيخ علي الطنطاوي وأثره في مكة المكرمة، عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٧ - ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، المدينة المنورة، بورقة عنوانها: الوحي القرآني في الفكر اللاهوتي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨ - مبادرة الملك عبدالله لحوار الأديان، جنيف ٢٠٠٩م، بورقة عنوانها الأصالة والمعاصرة في دعوة الملك عبدالله لحوار الاديان.

٩ - ندوة الإسلام والمسيحية في الشرق الأوسط، روما، ٢٠١٠م، بورقة عنوانها التعايش الإسلامي المسيحي في مصر.

البريد الإلكتروني: Rady61@hotmail.com